روايات مصرية للجيب

وراء الغيب

أسطورة المينوتور

22

www.liilas/com/vb3
^RAYAHEEN^

روايات
مصرية للجيب

٩٤٦٩

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من شرفة الغموض والرعب والإثارة

أسطورة المينوتور

إنه هو ...!.. لابد انه هو ..
عندما تسمعون هذا الخوار ،
تشعرون انه هو .. عندما تسمعون
هذه الخطوات : تفكرون انه هو ..
عندما ترون هذه العظام المبعثرة ،
تدركون انه هو ... إنه في مكان ما
ينتظرنا .. يشم رائحتنا ...
وحينما يجدنا .. سنوقن
جميعا انه هو .....!

د. احمد خالد توفيق

www.liilas/com/vb3
^RAYAHEEN^

تطبع وتنشر وتوزع

مقدمة

أنا د . (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم المتقاعد .. ومريض القلب الدائم .. والعزب الأبدى ..

أنا الذى واجه (العناس) .. وواجه لعنة (شاكال) النارية .. وضاع فى عوالم (آلان بو) .. وغاص فى قلب الحقيقة إلى الحد الذى تسمح به آدميته ..

أنا الشيخ الفانى الذى تشبه حياته ورقة فى شجرة صفصاف إبان الخريف ..

الكل ينتظرها كى تسقط ..

الكل يعرف يقينا أنها ستسقط ..

ناموس الحياة يقول إنها ستسقط ..

لكنها لم تسقط بعد ..!

تسألوننى عن سبب بقائى فوق الشجرة حتى هذه اللحظة .. أية فيتامينات أبتلعها ؟.. أية أطعمة أمتنع عنها ؟.. أية رياضات أمارسها ؟

أقول لكم إننى أفعل كل ما من شأنه أن يقضى على حياة سلحفاة عمرها عامان .. والتفسير الوحيد عندى هو أن أجلى لم يحن بعد ..

أجلي لم يحن بعد ..

لهذا أدعوكم الليلة - من يدري ؟ لربما كانت الأخيرة - إلى أن تصغوا لقصة أخرى ..

يبدو أن الوقت قد حان كي أحكي لكم قصة (المينوتور) ..

اليوم نعود من جديد إلى عوالم (الميثولوجيا) الإغريقية . وكالعادة - كما حدث مع رأس (ميدوسا) - لن يكون اللقاء مبهجا على الإطلاق ..

سنمره الرعب .. سنبرها الكآبة ..

المهم أنكم هنا .. وأنكم تتطلعون في شغف إلى لقاء (المينوتور) .. لهذا دعونا لا نضيع وقتا في ثرثرة التمهيد هذه ..

ولنبدأ ..

* * *

١ - الأسطورة ..

مينوتور : (مينوس + تورووس) في الاغريقية . وحش يبدو نصفه كإنسان ونصفه الاخر كثور . يعيش في المتاهة التي بناها (ديدالوس) لـ (مينوس) . كانوا يقدمون له قربانا سنويا من سبعة فتيان وسبع عذارى ، إلى أن قتله (ثيذيوس) .

[قاموس (ويبستر) الشامل]

* * *

مرة أخرى نعود إلى عالم الأساطير الإغريقية المعقد المتشابك ، الرائع برغم ذلك .. والذي كون جزءا هاما من تكوين عقولنا ، لا ندرك أهميته إلا حين نتحدث عن بطولات (هرقل) .. أو نستعمل (أطلس) للبلدان .. أو نصف فتاة حسناء في قصائدنا بأنها (فينوس) .. وحتى أول مركبة فضاء لمست القمر كان اسمها (أبوللو) ..

في هذه المرة سنقتصد جزيرة (كريت) لنلتقي الفنان البارع والمهندس الإغريقي الموهوب (ديدالوس) ..

www.liilas.com/vb3

تذكر الأساطير الاغريقية لـ (ديدالوس) إنه هو أول من حاول الطيران في التاريخ ، مستعملاً جناحين من شمع .. وللأسف جرب هذا مع ابنه (إيكاروس) .. ولقد انتاب الحماس هذا الأخير حتى أنه دنا من الشمس أكثر من اللازم .. وذاب جناحاه ليهوى غارقاً في المحيط ..

كما يذكر لـ (ديدالوس) أنه هو من بنى (اللابيرنث) أو (المتاهة) في (كريت) .. وهو الحل السعيد الذي وجده الرجل للتخلص من كارثة بيولوجية حطت على هذه الجزيرة ..

لقد كان لدى (مينوس) ملك (كريت) وحش من هذه الوحوش الشنيعة التي تزخر بها الأساطير الإغريقية .. ولم يكن بالتأكيد أسوأ من (ميدوسا) ـ التي تحدثنا عنها في الكتيب السادس ـ لكنه كان سيئاً بما يكفي ..

كان هذا الوحش مزيجاً من الإنسان والثور .. وثمة روايات تقول : إن الثور كان هو النصف العلوي ، وأخرى تقول : إن الثور كان هو النصف السفلي .. لا يهم ..

المهم أنه كان مزعجاً ومرعباً .. وكان يقتل كل من يدنو منه .. وبالتأكيد لم يكن صالحاً لتربيته فقط سيلمى

المهم أنه كان مزعجاً ومرعباً .. وكان يقتل كل من يدنو منه ..

أو كتب (لوتو) .. لكن (مينوس) الأحمق ظن أنه من المفيد أن يحتفظ للعراء بـ (مينوتور) في داره .. ودفع ثمن هذه الحماقة غاليا ..

فلما استطار شر الوحش ، استنجد الملك بالمهندس الإغريقي العبقري (ديدالوس) ..

ولابد أن المهندس فكر كثيرا في حل المعضلة .. ولابد أنه أجرى حسابات مستفيضة على آلته الحاسبة الإغريقية - كل شيء جائز في الأساطير - ثم دس القلم وراء أذنه .. وقال :

- سنبني (للابيرنث) !

هنا لابد أن الملك تساءل في غباء :

- (لابيرنث) ؟

- نعم .. (للابيرنث) في الإغريقية معناه : التيه .. متحيط هذا الوحش بممرات معقدة ، ومنحنيات ، وشعاب متداخلة .. ولسوف يركض هذا الوحش بين الممرات إلى يوم يبعثون .. عاجزا عن الخروج ..

وقد كان ..

وصار هذا (اللابيرنث) المعقد جزءا من معالم (كريت) .. بل وصار جزءا هاما من ألعاب (الكمبيوتر)

التي تدور كلها حول محاولة الخروج من متاهة ، في حين تطاردك بالداخل أشياء مبهمة لا تدري كنهها .. لكنها تلتهم ما تراه ..

* * *

لكن القصة لم تنته بعد ..

إن الجزء السيئ منها لم يبدأ حتى هذه اللحظة ..

كان الإغريق يحقدون ويحسدون ، مثلما نفعل نحن طيلة يومنا .. ولقد بدأت المأساة بفوز ابن (مينوس) ملك (كريت) بالألعاب الأولمبية في (أثينا) ..

وإذ نوى الفتى أن يعود إلى بلاده محملا بالجوائز ، استشاط ابن ملك (أثينا) غضبا .. وأكل الحقد قلبه ..

لذا أرسل قطاع الطرق ليهاجموا ابن ملك (كريت) .. ويمزقوه إربا .. وينفوا بجسده للريح ..

الحق أنها كانت خيانة بشعة حقا ..

أما الأدهى فهو أنها وصلت بالكامل إلى أذن (مينوس) ، فجن جنونه .. وجرد جيشا مهولا زحف به على (أثينا) ..

وما جاء الصباح إلا والبطاح تموج بقتلى الإغريق .. وبدأ حصار (مينوس) الطويل للمدينة (أثينا) ليرغم

أهلها على الاستسلام ، وكان الحصار مرهقاً ، شح فيه الماء والزاد ..

وأرسل (إيجوس) إلى (مينوس) يعرض عليه الصلح ..

لكن الأب المكلوم في ابنه رفض الصلح .. وقال إن كل (أثينا) لا تفديه عوضاً عن ابنه ..

لكنه - لما كان رجلاً سهل الإرضاء - يكفيه أن يعود بسبعة من أجمل وأقوى الفتيان .. وسبع من أجمل العذارى .. وسوف يأخذهم معه إلى (كريت) ليرمي بهم إلى (المينوتور) ..

ولم يجد ملك (أثينا) الياس سوى أن يوافق على هذا العرض ، الذي سيتكرر كل عام .. وإلا فهي الحرب ..

وعاد الكريتيون إلى جزيرتهم حاملين إلى وحشهم صيداً ثميناً .. يكفيه لمدة عام ..

★ ★ ★

ومرت السنون .. وأهل (أثينا) يدفعون الفدية عن يد وهم صاغرون .. حتى ظهر (ثيزيوس) ..

و (ثيزيوس) - بالمناسبة - هو ابن الملك (إيجوس) من عذراء ريفية حسناء قابلها في إحدى رحلات الصيد ..

والأخ (ثيزيوس إيجوس) - كما لنا أن نتوقع - هو بطل إغريقي متحمس من أولئك الذين يفتشون عن المتاعب بأنفسهم ..

وهذه الشخصية ذات البعد الواحد تتكرر بإفراط في الأساطير الإغريقية .. البطل مفتول العضلات عاري الصدر .. بسيفه البتار وغضبه الجبار .. وبحثه الدائم من أجل أن يزيح عرش مملكة ما .. ودائماً هو يتحرك ضيقاً لتبوءة .. كلهم كذلك .. من (أوديب) إلى (أخيل) .. ومن (هرقل) إلى (برسيوس) ..

وهكذا .. تقول الأسطورة إن (ثيزيوس) ألح على أبيه في أن يرسله إلى (كريت) هذا العام ليكون ضمن البؤساء الذين سوف يلتهمهم (المينوتور) ..

يجب أن يعلم أهل (أثينا) أننا نجرع ذات الكأس التي منها يجرعون ..

بهذا الحس الديموقراطي ركب (ثيزيوس) السفينة مع رفاقه ، مبحرين بحراً [تلاطمت أمواجه ، وزخرت أثباجه ، وطمّ ألمه] على حد قول الأستاذ (دريني خشبة) أول من ترجم هذه الأسطورة إلى العربية ..

وبعد وصلت السفينة إلى (كنسوس) عاصمة (كريت) ، ونزل منها أولئك الضحايا القادمون ..

لكن بقية (مينوس) أعجبت ثيسيوس ـ (ثيزيوس) الوسيم القوى .. نفسية ـ أو متنافسية ـ أنه أخو فتاتى أخيها ..

وكان أن قررت إنقاذه .. فقدمت له خيطا قالت له أن يربطه عند بداية (اللابيرنث) .. ثم يدخل النفق ليلا بينما (المينوتور) نائم ـ فيبحث عنه ويقتله بسيفه البتار ..

بعد هذا يستطيع العودة أدراجه مسترشدا بطرف الخيط الذى يحمله .. هكذا لن يضل طريقه ويموت .. مثلما يحدث لمن لم يسعدهم الحظ أن يقتلهم (المينوتور) .. وقد كان ..

نجح (ثيزيوس) فى فك الوحش .. وعاد يتزوج الفتاة .. وليكون صلح بين (كريتا) و (كريت) .. وتعم السعادة البلاد ..

وهنا تنسى الأساطير الإغريقية كل شىء عن (ثيزيوس) ..

وتنسى نحن كل شىء عن (المينوتور) إلا فى خيال الشعراء وعند علماء النفس .. حيث (المينوتور) رمز

لامتزاج البهيمية والنبل فى نفس الإنسان .. وليس الإنسان بشرا كله ولا ثورا كله بل (بين بين) ..

الآن .. نحن نعرف كل شىء عن الأسطورة ..

يمكننا أن نترك شاعر اليونان الضرير (هوميروس) يعزف على قيثاره .. ونترك النيه .. ونترك (أخيل) ..

ونعود إلى عالم الواقع ..

إلى (كريت) عام ١٩٦٩ ..

* * *

www.liilas.com

٢ ـ ما كان .. وما سيكون ..

أرقد هذه الأيام مسترخيًا ـ للمرة الأولى منذ عشر سنوات ـ أتأمل الخيوط المعقدة التى نسجها عنكبوت الأيام ، صانعًا منها نسيج ذكرياتى ..

من العجيب أن خطابات عديدة وصلتنى فى الآونة الأخيرة ، كلها من أشخاص سمعوا عنى .. ويحسب كل منهم أنه يرى شبحًا .. أو أن جاء مصاص دماء .. أو أن عمه مذءوب ..

هناك فتيات يقسمن أن غسالة الثياب تعمل وحدها فى منتصف الليل .. وعجوز يؤكد أن الثلاجة تمشى فى الصالة عند الفجر .. وشاب واثق أن خالته لها جناحا وطوقا ..

برغم كل هذا الهراء شعرت برضا بالغ ..

فأنا ـ كما تلاحظون ـ قد بدأت أتخذ بالتدريج شكل (وكالة أشباح) يلجأ إليها الناس حين يشعرون بأن شيئًا ما على غير ما يرام ..

لقد نشرت عدة مقالات عنى .. والتقت بى مذيعة شقراء تلوك اللبان على شاشة التلفزيون ..

وتدريجيًا بدأ الناس يسمعون عن (رفعت إسماعيل) .. بعدما كان نسيًا منسيًا لا يعرفه سوى أصدقائه .. ومن قرءوا تلك المقالة عن (الزومبير) فى المجلة الإنجليزية إياها ..

قد يقول بعضكم إننى لا أملك الخبرة الكافية بعد .. لكنى أقول إن هذا صحيح فى فترة ما .. وفى ذلك الوقت كنت أردد دومًا عبارة (لست صانع أساطير .. ربما أنا خادم لها) .. وكانت خبرتى محدودة دائمًا ..

أما اليوم ـ حين أتأمل حياتى ـ أجد أننى قد عشت خبرات قمينة إلا للأشباح .. ولم يعشها بشرى قبلى فى حد علمى .. وهذا يتيح لى حرية المرثرة كما أشاء ..

أنا لست من الطراز الذى يتكلم فى أمور لا يفقه فيها شيئًا ..

* * *

والآن .. دعنا نتأمل خبراتى حتى عام ١٩٦٩ ..

١ ـ عالم مصاصى الدماء بتوابيتهم وأوتادهم وثومهم : كانت لى معهم مغامرتان زائفتان فى الواقع .. مرة

مع أسطورة مصاص الدماء .. ومرة مع إحدى قصص (التاروت) .. وتعلمت من ذلك أنه لا وجود لشيء كهذا ..

٢ ـ عالم مسوخ الذئاب والقصر المكتمل وطنجر الفضة :

لم يثبت لي وجودهم قط بعد قصتي مع أسطورة المذعور .. لكني عرفت عنهم الكثير .. وعرفت أصل هذه الأسطورة .

٣ ـ عالم الوحوش التي لم يرها أحد :

واجهت وحش (نوخ نس) .. وعرفت من واجه رجل الثلوج .. وهذا كاف لأكون ذا خبرة بالأمر ..

٤ ـ عالم الموتى الأحياء والقبور المفتوحة والأطراف المتآكلة :

كان لي لقاء مع (زومبي) مزيفين .. وأعتقد أنني أعرف قدراً لابأس به من الموضوع ..

٥ ـ عالم الأساطير اليونانية والحفائر :

مع رأس (ميدوسا) العائد ، واجهت كابوساً حقيقياً .. وبرغم أن المسألة تكشفت عن خدعة .. فإنني على استعداد تام لمواجهة الأسطورة القادمة ..

٦ ـ عالم لعنة الفراعنة والمومياوات والتحذيرات على الترابيت :

خبرتي مع مومياء الفرعون (الخيروف) وحارسه الذي يفتك بالعضاء ..

٧ ـ عالم النباتات المفترسة وخلائطه .

٨ ـ التجمدات الميتافيزيقية التي تجهل الكثير عنها :

لقائي مع شعب الأطياف ، وحمساء المطيرة ، وأرض أخرى .

٩ ـ غزاة الفضاء والأطباق الطائرة والشهب :

في مغامرة لم تكتمل معهم ، نموذج للكابوس المجسد في أسطورة الغرباء .

١٠ ـ القدرات البشرية غير العادية :

أسطورة الكاهن الأخير .. عن محارب (التافاراي) الذي جاء من عالمه ليزيد الحياة تعقيداً ..

وهكذا أستطيع القول إنه ما من مجال من مجالات دنيا ما وراء الطبيعة ، إلا وخبرته إلى حد ما ..

١١ ـ النبوءات الشريرة وأوراق (التاروت) :

يمكن القول إنني اصطدمت بها في (جامايكا) وفي (نيويورك) .. مرة مع الأم (مارشا) ومرة مع د. (لوسيفر) .

www.liilas.com

١٢ ـ السحر الأسود :

إن خبراتي به متكررة .. مرة مع سحرة (الفودو) ونمرة (الفانيش) .. ومرة مع (لعنة الفراعنة) .. ومرة مع (شاكال) .. ومرة مع (نوسفيراتو) .. آه .. يبدو أنني لم أحك هذه القصة بعد ..

١٣ ـ البيوت المسكونة والبوابات الصدئة والعناكب :

إن أسطورة البيت هي نموذج جيد لبيت ليس مسكوناً فحسب .. بل هو نفسه يملك طاقة روحية عالية ..

والآن يمكنني ـ بكل تواضع ـ أن أزعم أنني قادر على الإدلاء برأيي في أي موضوع يعرض عليّ من مواضيع ما وراء الطبيعة ..

ربما جاء رأيي خاطئاً .. لكنه ـ بالتأكيد ـ يستحق الاهتمام ..

* * *

معظم ما يصلني من مراسلات يصلني على عنوان العمل ، لأن أحداً لا يعرف عنوان منزلي .. لكن الصحف حين تتحدث عني تقول : د . (رفعت إسماعيل) .. أستاذ بكلية طب كذا ..

ولقد وصلني فيض من خطابات حتى أن د . (رأفت) صديقي العتيد قال لي متهكماً :

ـ إن من يرى كمّ خطاباتك يحسبك أنشأت مكتب بريد خاصاً : مقره هذه الكلية ..

ـ مت بغيظك ! .

صحيح أن بعض الخطابات غير مفهوم ، وصحيح أن بعضها لا يصدق .. إلا أن كثيراً منها يحوي أشياء مثيرة للاهتمام حقاً ..

من ضمن هذه الخطابات كان هناك هذا الخطاب الطويل ، الذي سلمه لي بالبد شاب يدعى (سالم محمد شحاته) ، والذي نشرته كاملاً في الكتيب الثامن تحت عنوان (أرض أخرى) ..

ولقد سلمني خطابين آخرين بعد ذلك .. وأحدّ سأنشره تحت عنوان (أرض المغول) ، وواحداً تحت عنوان (أرض الخفايا)(*) .. ولا داعي لأن أقول إنني ميال لعدم تصديق هذه القصص التي يمطرني بوابلها الأخ (سالم) ..

لكنها ـ جميعاً ـ شائقة .. وكلها تطلق عنان الخيال .. لهذا لا أرى ما يمنع من نشرها يوماً ما ..

(*) الخفايا معناها الزواحف ..

هناك خطابات عدة بلغات أجنبية .. لا أعرف أكثرها .. منها خطاب يقول لي بمودة ولطف :

- أردشير نور هاد تأميل ميزدة يار تالواد شيلوش ..

وأنا أحيي هذا الأسلوب الرصين المتماسك .. ودقة الإعراب .. ولكن كنت أتمنى ألا أموت قبل أن أعرف اسم هذه اللغة .. التي تأكدت من أنها ليست فارسية ولا الإيرانية ولا الأوردية ولا الأفغانية .. ولا ....

هناك خطاب آخر كتب بحروف سلافية .. تلك الحروف التي تجعلك تقلب الورقة عدة مرات بحثا عن الوضع الأمثل للإمساك بها .. لأنك تجد حرف (أ) اللاتيني مقلوبا .. فإذا قلبت الورقة وجدت حرف (ن) اللاتيني مقلوبا !.. وهكذا ..

لن أدهش لو كان هذا الخطاب من لاتونت (دراكيولا) نفسه .. يهنئني بعيد ميلادي ..

ثمة خطاب ثالث هو أقرب إلى الطرفة .. ألصقت عليه عشرات الطوابع تحمل اسم (فيلامن) - اليونان - وبداخله ثلاثون ورقة من القطع الكبير .. كتب عليها بالانجليزية ما هو أقرب إلى أمسية طويلة معقدة .. وبخط صغير جدا ..

التوقيع يحمل اسم البروفسور (ديمستريوس كوبرانوس) ..

ومرفق بالخطاب بعض صور غير واضحة تشير ما .. مع أسهم باللون الأحمر توضح تفاصيل هذا الشيء ..

* * *

ولي داري - مع كوب من الشاي الثقيل - رحت أطالع هذا الخطاب السباغ في طوله ..

ومرة أخرى شعرت بأنني أدخل عالم المرأة المسحور .. لأعيش في عوالم أخر - وعالم يختلف في كل شيء عن عالمي هذا ..

وحين انتهى الخطاب .. دمعت عيناي - العضلة المهدبية بالذات - قد أنهكت .. وشعرت بأن عيني تحولتا إلى سائل رياضي بعد سباق احترق الضاحية عدوا ..

لقد ظن هذا الـ (كوبرانوس) أنه يكتب فوق طابع بريد - ومن يدري ؟ لربما استعمل المجهر في كتابة خطابه هذا ..

على كل حال .. أما وقد انتهى الخطاب فإنني أجده مسليا إلى حد لا بأس به ، وبه مسحة ما من الرعب ..

لهذا سأترجمه لكم في الصفحات التالية ..

وكالعادة .. سأعود قبل أن ينتهي الكتيب لأعلق على هذا كله .. فذكروني أن أفعل ذلك أرجوكم حتى يحتفظ الكتيب بطابعي ..

وفي الكتيبات القادمة سأحاول أن أنقي لكم القصص الأكثر إمتاعًا .. لأقدمها لكم على هذه الصفحات ..

بالتالي ستستريحون من ترقرقي لفترة لابأس بها ... وإن كنتم ستجدون أسلوبي وسخريتي المقبتة بين السطور وفوقها .. لأنني ساعيد سرد كل شيء بنفسي ..

ترى ماذا يحمل لنا هذا البروفسور (كوبرانوس) من ساعات سويسة ؟

اقلبوا الصفحة إذا كان رقمها فرديًا .. أو انظروا إلى اليسار إذا كان رقمها زوجيًا .. لتروا بأنفسكم !

* * *

٣ ـ عودة إلى اليونان ..

عزيزي د . (إسماعيل) :

طالعت بفائق الاهتمام ما ورد في مجلة (...) عن مغامرتك مع هؤلاء (الزومبي) في (الكاريبي) . كما طالعت بشغف حكايتك مع رأس (ميدوسا) .. تلك القصة التي تحدثت عنها الجرائد اليونانية كثيرًا .. وللأسف كان الأمر كله أجمل من أن يكون حقيقيًا ..

أنا ـ يوصفي عالم آثار مختصرنا ـ أعرف (ميخائيل كاراكاكس) جيدًا ، وأعرف أنه أقرب إلى نصاب وسيم منه إلى العلماء .. وكان بإمكاني أن أريحك من تلك المأساة التي عشتها في جزيرة (كارانوس) لو أنني علمت طرفًا من الموضوع ..

على كل حال يقضي (كاراكاكيس) وزوجته الإنجليزية أعوام السجن المؤبد الآن .. ومن المؤكد أن العلم لم يخسر كثيرًا جدًا بفقدهما ..

وحين طالعت هذه القصة ، ظلت في عقلي الباطن فترة لا بأس بها .. وكان طبيعيا أن يتطلع وجهك إلى سطح القمر ، حينما اصطدمت أنا بقصة جديدة من عالم (الميثولوجيا) اليونانية ، وهي تعرى قصة غير مبهجة على الإطلاق ..

وحين أكتب لك هذا الخطاب لا أطمع في معونة منك .. ولا أطمع في رأي وإن كان صائبا .. بل أنا راغب في أن تعيش معي هذه التجربة الغريبة ، وأن تتري فيها معي لعلنا نرى وراء الطبيعة كما أريت أنا فهمي .. إن الإنسان هو حقا ابن خبرات من سبقوه .. وأنت حين تقول عبارة مثل : لقد كنت أدري فأضأت المصباح الكهربي ، وخطوت إلى الثلاجة فتناولت قدحا من الماء ، وفتحت التلفزيون ، حين تقول هذا .. فلا تنس أن أبسطا مات وهي تحاول من أجل ابتكار المصباح الكهربي .. وأجيالا قتلت من أجل اختراع الثلاجة .. وعقولا لا حصر لها كانت تتفجر وهي تحاول ابتكار التلفزيون ..

إن الإنسان هو تجارب من سبقوه .. ولو لم تصلنا خبرات كل هؤلاء لما أخذها أو نضيف إليها : فأين كنا

سنكون اليوم ؟! مقدمة طويلة هي .. متخلفة ربما .. لكني لا أجد طريقة أخرى أبرر بها كتابة خطابي الطويل هذا لك ..

وهذا ستعرف عن (الميثولوجيا) قدر ما أعرفه أنا .. برغم تباعد بلدينا واختلاف لساننا ..

أليس هذا قائما ؟.. أليس هذا ساحرا ؟

* * *

اسمي (ديمتريوس كوبراتوس) .. أستاذ في علم الآثار .. وبالطبع أنا مهتم بالآثار (الهللينية) .. أتبع من العمر خمسين عاما .. متزوج ولي طفلة جميلة تدعى (ميليسا) .. وهذا يعود لأنني تزوجت في سن الأربعين .. السن التي يتزوج فيها كل من يخشون الزواج ويخشون الوحدة كذلك ..

صفاتي الجسدية قد لا تعنيك كثيرا .. لكني ـ ليسهل التخيل ـ قصير القامة للغاية .. متضخم الرأس .. أميل إلى الهزال .. أدخن الغليون طيلة الوقت ليكتمل مظهر العالم الذي أصبو إلى أن أكونه .. من يعرفونني يقولون إنني هادئ الطباع .. أقرب إلى الخجل والبعد عن الآخرين ، وأنك تحتاج إلى وقت لا بأس به كي تكسر أسوار تحفظي ..

من يدري ؟.. ربما كان هذا التحفظ درعا أقي به نفسي سخرية الآخرين من غرابة منظري .. وأعترف هنا أنك لا تستطيع الكلام معي دون أن تحني رأسك .. ولا تستطيع أن تمنع ابتسامة سخرية على شفتيك .. قد تتدارك الأمر فتجعلها ابتسامة تلطف ..

لا أدري ما جدوى هذه التفاصيل بالنسبة لك .. لكنها على الأقل ترسم الجو المحيط بي كاملاً ، وتجعلك تراني بدلاً من أن تسمعني فحسب ..

* * *

نحن الآن في (كريت) ..

لابد أنك تعرفها إلى حدّ ما ، من مغامرات السابقة التي كانت قريبة منها .. جزيرة البحر المتوسط الهادئة التي تقع جنوب بحر (إيجه) .. حيث نشأت أول حضارة غربية على الإطلاق وهي حضارة (المينو) ..

عاصمة (كريت) الغابرة التي كانت مزدهرة منذ خمسة عشر قرناً هي (كنوسوس) .. وهي المكان الذي ستدور فيه قصتنا ..

ماذا يوسعني أن أقول أكثر عن (كريت) ؟..

إنها أكبر جزر اليونان .. تمتد الجبال بها من الشرق إلى الغرب .. لها سهول ساحلية ضيقة .. ويعيش بها

رعاة خشنون .. ولا تنتج الجزيرة سوى النبيذ وزيت الزيتون ..

إلى هذه الجزيرة البائسة وصلت وأسرتي الصغيرة ، وفريق مكون من رجلين (باسيلوس) و (ستافروس) .. وكلاهما يعمل بالآثار اليونانية مثلي ..

واستقررنا في خان صغير بالبلدة ، وجلدنا بعض سكان الجزيرة ليكونوا عمال حفر لنا .. ولم يكن هذا عسيراً ، لأنهم اعتادوا مجيء هؤلاء المخابيل من (ألينا) الذين يحفرون الأرض .. ولا يتركون حجراً فوق حجر كأنهم خلدان مسعورة ..

والمحصلة دائماً هي رأس مهشم لـ (أبوللو) أو ذراع مفككة لـ (فينوس) .. أو رمح صدئ ..

ثم يعود المخابيل إلى (ألينا) وتنتهي الضوضاء إلى حين .. وبعد شهور يوضع الرأس في المتحف اليوناني ، وجواره بطاقة تقول إنه (رقم ٣٢١٦٧٢ ـ أ) و (من حجر البازلت) .. ثم ينسى الأمر برمته ولا يهتم به أحد ..

هذا هو عملنا .. ونحن لا نتذمر ..

لكننا اليوم نشعر بأننا مقبلون على كشف هام نوعاً ..

* * *

تسألني عن كنه هذا الكشف .. وعن العلامات التي أشرتُ به .. أقول لك إن جميع الدلائل توحي بهذا :

١ ـ المنطقة التي نعمل بها في (كنسوس) لها تاريخ حافل حقاً .

٢ ـ يتحدث الأهالي عن (شيء ما) يحدث هنا .

٣ ـ وجدنا على حدود المنطقة أثر من لوحة حجرية كتب عليها حظراً : ابتعد عن هذا الغريب .. وكان جميعها منقوشاً تحت أطنان من الغبار .

٤ ـ وجدنا جزءاً من جدار كتب عليه اسم (مينوس) ، وهو ملك أسطوري لـ (كريت) لا نعرف عنه شيئاً إلا من الأساطير الإغريقية

٥ ـ هذه المنطقة بكر تماماً ، ولم يعبث بها معول الباحثين على النقيض من باقي أجزاء (كريت) . التي تحولت إلى مزار للأجانب الذين من كثرة لحظ .

والآن تم اتخاذ القرار بأن نبدأ الحفر في منتصف القطاع تماماً .. عند مركز الدائرة التي تنتشر اللافتات على حدودها .. وبدأنا العمل في يوم قائظ ..

يوم من تلك الأيام التي تشعر فيها بأن الحر يحرق روحك ، ويبخر الهواء من رئتيك قبل أن تتنفسه ..

وجدنا جزءاً من جدار كتب عليه اسم (مينوس) ..

الرجال الأشداء نزعوا قمصانهم وراحوا يهبون بالمعاول فوق الصخور الجيرية التي تشكل أكثر مساحة (كريت) .. ومن حين لآخر يصاب أحدهم بضربة شمس فيقيء وينهار .. أو يوشك على الموت .. ويهرع آخر ليجرع الماء ويبتلع بعض الملح .. ويخرج آخر زجاجة (تيبذ) يرشف منها رشفة على أمل ألني لا أراه ..

أحيانًا يشيدون السباب بأبوذنية الفجة .. أو يتبادلون نكاتًا بذيئة لا أفهمهم عليها كثيرًا ، وأنير يصبري في مساعدة (باسيلوس) و (ستافروس) .. وهما تقيضان في كل شيء ..

(باسيلوس) نموذج للشاب المتحمس المندفع .. الفخور بوسامته .. والذي لا يرحم مرءوسيه ، ويرى دومًا أنهم لا يقدمون أقصى ما عندهم .. وأنهم شرذمة من الكسالى ..

إنه ذلك الطراز من البشر الذي لا يخشى - بل ويسره - أن يكون مكروهًا ، وأن يرى نظرات المقت في عيون من حوله ، لسان حاله يقول - مثل (راسبوتين) - إنه كلما كثر أعدائي ازدت قوة ..

أما الآخر - (ستافروس) - فهو رقيق إلى حد الأنوثة .. رحيم إلى حد الخشونة .. من طراز الشباب

الذين أعدهم أهلهم لعالم لا وجود له .. عالم مفرداته هي (من فضلك - عفوًا - أستميحك عذرًا - شكرًا) .. وتكوينه الجسدي مقارب لتكوينه النفسي ..

فهو بدين نوعًا .. متراخ .. تشعر حين ترى عينيه أنه يوشك على السقوط غافيًا في أية لحظة ..

ووجهه - الخالي - من الخشونة الرجولية - أقرب إلى وجه بقرة مستلقية راضية بما حولها من عشب ..

لكنه - أشهد - يملك عقلاً راجحًا يفوق بمراحل عقل زميله الذي يشبه الطاووس ، ولا يفوقه ذكاء ..

بهذه المجموعة الشاذة بدأت عملية التنقيب بحثًا عن ... عن ماذا ؟.. عن شيء ما ...!..

★ ★ ★

عندما تزايدت حرارة المناخ ، وعندما ازداد عدد الإغماءات .. وازداد بحر القيء حتى كاد يغرقنا ، أمرت بتأجيل الحفر إلى المساء حيث الأنسام الرحيمة .. وعلى ضوء المشاعل ..

فما دمنا لا نطارد أرنبًا بريًا .. لا أرى ما يمنع من التوقف برهة ..

وجاء المساء ..

www.alilas.com

المشهد يبدو كحلم ملون أهواه كثيرا .. مشهد الرجال وقد امتزجوا بالظلام وضوء النهب ، وهم يحاربون الصخور ..

صحيح أن البعوض يجعل هذا الطبق الرئيسي في وجبة عشائه .. وأن الثعابين تداعب أقدامنا .. وأن العقارب تتفنن من تلويثنا لهيئتها في ساعات نزهتها الليلية ، لكننا نستمتع بالحفر الليلي دون شك .. خاصة مع أغاني الرجال الغريبة على أذني ..

الحفرة تتسع ..

وأدنو منها لألقي نظرة متفحصة .. ثم أضيء كشافي وأتأمل جوانبها .. ويدنو (ستافروس) مني ليرى ما أراه ..

- من المؤكد أن هناك شيئا ما هنا .

- هذا محتمل .. هذه الجدران المهدمة تؤكد ذلك ..

كانت هناك فتحة .. والفتحة تبدو كأنها في سقف ما .. ونحن الآن نقف فوق هذا السقف .. ترنو لأسفل عاجزين عن رؤية ما يدور بالداخل ..

أشرت للرجال كي يوسعوا الفتحة أكثر .. فتذمر أحدهم من أن الوقت متأخر بما يكفي .. وهم يعملون طيلة النهار و ... قاطعته صائحا :

- أنا لن آخذ من وقتكم أكثر من ربع ساعة ..

- إن الأجر الذي ....

وهنا تدخل (باسيليوس) في كبرياء ، المزجر العامل وازجرني معه دون قصد :

- هيه !.. لا تقلقه يا بروفسور .. ولا تتوسل إليه .. أنا أعرف هذا الطراز من الثور .. يريد الانصراف ليلحق بالحفلة مبكرا . حيث يحسو لترين من (الأوزو) .. ثم يعود لامرأته ليوسعها ركلا ولكما حتى الصباح .. ويجيء منهنا ليخبرنا أنه بحاجة للراحة !..

نظر له العامل في غل ، وارتسمت بسمة شريرة صفراء على وجهه ، وأقسم إنه كان طليقا بتهشيم رأسه الجميل بالمعول لو كان تهشيم الرءوس حقا مشروعا للعمال ..

أشرت للعامل أن ينصرف .. ويعاود الحفر ... ثم استدرت إلى (باسيليوس) لأصارحه محنقا برأيي :

- إن هؤلاء القوم فقراء يا (باسيليوس) ، لكنهم لم يخسروا روحهم بعد .. فلا تفرط في إهانتهم معتمدا على حاجتهم للمال ..

- حسن سيدي .. لكن بعض الحزم ....

هنا صاح (ستانروس) :

ـ هل يكفي هذا القدر يا بروفسور ؟

نظرت إلى الحفرة .. دلوت منها وسلطت الكشاف على قاعها .. وابتعدت ريقي ..

ـ هل هذا كاف ؟ .

سألني (باسيلوس) من وراء ظهري ..

لكني لم أرد عليه ..

كنت شارد الذهن أرمق القاع ..

هل أنا واهم أم أنني أرى عظامًا آدمية مكتسية هناك ؟!..

★ ★ ★

٤ ـ التيه ..

بالتأكيد هي عظام ..

وبالتأكيد هي آدمية ..

لكن كشفًا كهذا ليس فريدًا في عالم الآثار .. فالعظام ذاتها أثار مهما اختلفت حول هذا الرأي أو ذاك .. المهم هو ما بداخل الحفرة ..

وحول ضوء المصابيح رحنا نتجادل بصخب عن السياسة المثلى للتعامل مع هذا الكشف ، الذي قد يقودنا إلى أدق أرهب ..

ورأينا أن أصوب الحلول هو أن نعود إلى ديارنا ، وفي الصباح الباكر يكفي أحدهم من الفتحة بحبل ليرى ما يدور بالداخل ..

هل هي مقبرة ؟ لا أتوقع ذلك .. فالمقابر لها تصميمها ، ولها رائحتها ، ولها طابعها الذي لا يعجز عن تبينه عالم آثار أو حاوتي ..

من يدري ؟ لربما كان هذا بيتًا أو قصرًا مغمورًا ..

www.alilas.com

غفل عنه الزمن زمنا .. ثم شاء حظه العاثر أن نجده نحن ..

على كل حال .. سنعرف هذا غدا ..

★ ★ ★

عدت إلى الخان .. إلى غرفتي الصغيرة هناك ، حيث كانت زوجتي (هيلين) جالسة تحيك شيئا ما على الأريكة .. وابنتي (ميليسا) تتسلى برسم شيء ما على الورق الممتاز على الأرض ..

إن (هيلين) تصغرني بخمسة وعشرين عاما .. وأعتقد أن ما يربط بيننا هو ما يسمى بالحب .. فالشيء الذي يدفع شابة حسناء مثلها إلى أن تتزوج رجلا غير ذي مال ولا وسامة ولا قوة ، فهو شيء غير مبادئ بالتأكيد .. وأعتقد أنه أقرب إلى لفظة (حب) ..

لكنها لا تبدي هذه العاطفة أبدا .. وتعاملني معاملة رسمية متحفظة جافة ، كتعامل الرجال المهذبين مع الغرباء ..

أما طفلتي (ميليسا) فهي شيء رائع .. شقراء كعذارى (الأوليمب) زوقاء العينين كـ (فينوس) - لو كانت (فينوس) زرقاء العينين - وهي تحبني دون تحفظ .. وهذا هو أجمل ما في الأطفال .. الحب بمعنى دون ثمن ولا تحفظ .. ويعطي كثيرا جدا ...

- عمت مساء يا (هيلين) ..

- مساء !..

هذه هي تحية المساء التي اختصرتها إلى أقصى حد ممكن .. فلو أنها استطاعت الاكتفاء بالهمزة لفعلت .. وكما ترى فالثرثرة ليست من عيوب زوجتي .. وهي كذلك لا تفرط في واجبها ..

- العشاء على المائدة ..

فأذهب إلى هناك .. وأرفع الغطاء المصنوع من القش مجددا .. لأجد بعض التسطار وحبيبات الزيتون ، أعدتها لي على عجل في مطبخ الخان .. أجلس لأتفهد هذه الوجبة الهائلة .. وبالسكين أقطع بعض شرائح الخبز الناعمة في قمي وأرشف بعض (الأوزو) ..

★ ★ ★

(ديمتريوس) .. لا تنم أرجوك .. لا تغلق عينيك ...

★ ★ ★

(ديمتريوس) .. أشعر بأنني كلب أليف في الدار ينتظر عودة سيده ليلا ..

★ ★ ★

(ديمتريوس) ـ أنت لم تحقق شيئا ولن تحقق .. خمسون عاما من الدوران كالذبابة في غرفة موصدة .. وغدا يفتحون النافذة لتحلق منها نحو الأبدية .. غير تارك في الغرفة سوى صدى أزيز جناحيك ..

★ ★ ★

يمكنني غدا ـ أو بعد غد ـ أن ألعب دور الزوج المحب . أما الآن فأنا لا أصلح لأي عمل سوى النوم ثماني ساعات متواصلة .. للأسف نحن محرومون من الاستحمام في هذا الخان لأنه ـ ببساطة ـ لا يوجد مكان يصلح لهذا .. ولا سبيل أمامنا سوى الذهاب إلى الحجوز (إدرين) للاستحمام عندها مقابل دراخمتين أو أكثر ..

وكذا تراني يا ـ (رافعت) راقدا في تقرأني على ظهري .. وصدري يعلو ويهبط .. وخطيطي يعلو ويخفت .. وأحلم ..

أحلم ببئر مظلمة لا ينيرها سوى شعاع كشاف ، وعظام آدمية تتكدس بلا عدد .. بلا عدد ...

★ ★ ★

في ضوء النهار الفتي الذي لم يطمره الغلالة بعد .. أقف وسط الرجال أرمق البئر التي حفرناها في الظلام أمس ..

ولا أرى في هذه البئر شيئا غير عادي .. فما هو الطريف أو الجديد في بئر تعلو بناء غامضا ، وتبطن العظام أرضيتها ؟!

تنظر (باسيلوس) إلى الرجال نظرة صارمة .. وفي الشمنزار طلب منهم أن يجلبوا السلم المجدول من الحبال ... ثم راح يشرف على تثبيته إلى وتدين على جانب فتحة البئر ... ومد يده يدفع السلم ليتحدر عبر الفتحة حتى لامس القاع ..

وبحركة درامية لا داعي لها على الإطلاق .. تطلع نحوي .. وهز رأسه طالبا أن أتمنى له حظا سعيدا .. فهززت رأسي كأنني (البابا) يدعو له .. وعلى الفور راح يهبط لأسفل فوق درجات السلم ...

ندّ (ستافروس) من خلفي .. ليتأمل المشهد وهو يلهث كالمنزور .. ثم غمغم :

ـ فتى شجاع .. لكن الموقف لا يستحق كل هذا المناخ الدرامي .. إنه لا يضحي بنفسه إلى هذا الحد الذي يتظاهر به .

قلت وأنا أشعل غليوني :

- هذا القلق يعيش حالة عشق مبرح لذاته .. عشق يصل إلى حد البغاء .. وأنا واثق أنه هو وهو سعيدان معا إلى أقصى حد ..

وفجأة سمعنا نداء مزمجرا قادما من البعد .. فهرعنا نرى ما هناك ..

كان صوت (باسيلوس) يصيح بي من أسفل :

- بروفسور ! .. هلا نزلت إلى أسفل معي ؟.. تعال ومعك (ستافروس) !..

تبادلت و (ستافروس) نظرة متسائلة ..

ثم شرعت لأهنأ أنزل درجات السلم والقلبون في فمي .. حتى شعرت بأنني أختنق .. بالواقع لم أعد أملك أي نوع من النباهة الذهنية .. وكأني أتمثل (ستافروس) الذي لم يكن أفضل حالا ...

كان ارتفاع الأرض عن قاع الحفرة خمسة أمتار .. لكنها بدت لنا كأنما تهبط من فوق جبل (كليمنجارو) ..

وعلى الأرض كان (باسيلوس) يقف مبتسما .. عاقدا ذراعيه على صدره .. وقد وضع الكشاف الذي يحمله على الأرض ليرى موطئ قدميه ..

نزلت أتفقد جواره .. وعلى الفور فهمنا سر ابتسامته .. وسر انبهاره .. لقد كان المكان الذي يقف به ممتدا إلى مسافة لابأس بها .. جدران قائمان بنا عليهما القدم بشكل مذهلا .. وفوق السور نرى ضوء الشمس يتسرب من الفتحة التي منها نزلنا ..

- أترياك ؟ هذا نفق ..

أعدت إشعال غليوني .. وتأملت الموقف :

- هذا حق .. ولكن إلى أين يؤدي ؟

- ربما إلى مقبرة !

وتأملت الأرض التي نقف عليها .. كانت من الحجر الصلد .. وقد تكدست فوقها العظام التي رأيناها من أعلى ..

بالواقع كانت العظام منتشرة هنا وهناك .. في كل مكان تقريبا داخل هذا النفق الغامض ..

ولكن من أين جاءت ؟.. لو كانت هذه مقبرة فالمفترض أن تتواجد العظام في شكل منسق بهيج .. فوق رفوف محفورة بالجدار أو في صناديق خشبية متآكلة ..

أما أن توجد هكذا كأن هناك من عبث بها وبعثرها ، فأمر لا أفهمه ولا أستسيغه البتة ..

رفعت الكشاف إلى أعلى مرسلا الشعاع إلى نهاية النفق الذى نقف فيه ، فرأيت جدارين يمتدان إلى بعيد ، ثم يذوبان وسط الظلمة التى لم يستطع الشعاع أن يبددها ..

- هلما يا فتيان لنرى ما هناك ..

وبدأت المشى بخطى مترددة ..

غريب هو هذا الشعور الذى لا يوصف ، والذى يداهمنى كلما مشيت فى مكان لم يدخله سواى .. أو لم يدخله سواى منذ زمن سحيق .. إن الجدران تكتسب على الفور شخصية مهيبة صموتا .. وأكاد أشعر بها ترافقنى ، وتحصى أنفاسى ، كأنما تحاول سبر غور هذا الدخيل .. مثلما يحدث فى الأغاد الرديئة عندما يدخل غريب إلى حانة يملؤها الرعاع .. فيتوقفون عن الثرثرة والضحك ، ويثبتون عيونهم عليه فى فضول وتحد .. محاولين أن يقوموا وزنه ..

هذه الجدران معادية .. أكاد على هذا أقسم ..

ثمة علامات على بعض أجزاء الجدار .. كأنما هناك يد قد رسمتها بـ (الطبشور) ..

وبصعوبة تبينت حروفا يونانية كتبها أحدهم ..

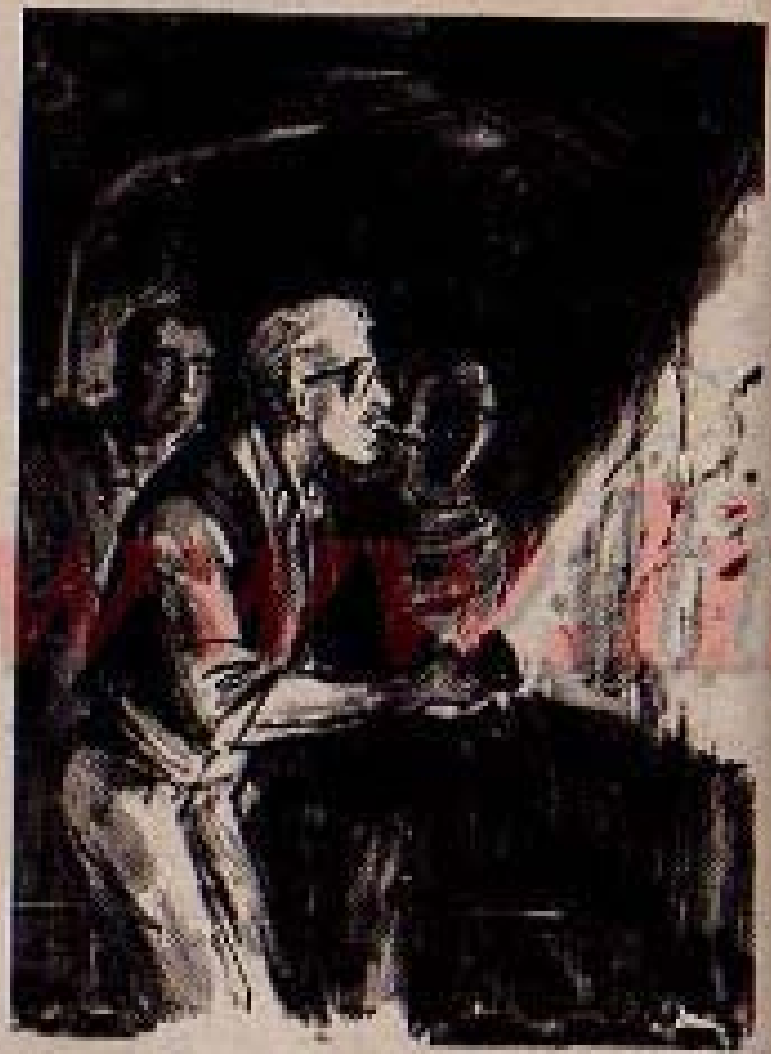

ثمة علامات على بعض أجزاء الجدار .. كأنما هناك يد قد رسمتها بـ (الطبشور) ..

هذه الحروف تقول :

يـ ... ل ... تـأ... وك ... يـ ... دى ... اثر ...

و ... ص ور ... جد ...

مال (بابيلوس) يتأمل الكتابة على ضوء الكشاف ... وفى وقاحة غضغض - وهو يدوك قطعة الطين :

- هذا المعتوه كان يهوى الكلمات المتقاطعة ..

ارتجف (ستالورس) ، ومسح جبهته بيده .. وهمس :

- بل هو تحتير على طريقة (دانتى) .. لقد تخيل (دانتى) أن الجحيم قد كتبت على بابه عبارة " يا من تدخلون هنا .. دعوا خلفكم كل رجاء " .. هذه العبارة لابد أنها تقول : " يا من تأتون بعدى .. أنى ... اتركوا وراءكم الأمل .. أو شيئا من هذا القبيل ..

هز (بابيلوس) رأسه فى مل .. وقال :

- إذن هو معتوه وشاعر .. لقد بدأ هذا يثير اهتمامى ..

- دعك من تواصل الفحص ..

ورفعت الكشاف .. ورحنا نشق الظلمات بشعاعنا .. فكلما زالت الظلمة وجدنا المزيد منها ينتظرنا ..

لابد أننا لم نمش سوى عشرة أمتار ، حين توقف (ستالورس) وأشار الى جدار يمتد أمام وجوهنا .

عاكسا ضوء الكشاف كأفضل ما يكون ، حتى نهاية الظلام تماما .. وهتف :

- يبدو أن هذه نهاية المغامرة ..

تلفتنى دقيقة من الجدار .. ونظرت إلى اليمين .. وإلى اليسار ..

كان هناك نفق يمتد يمينا .. ونفق يمتد يسارا .. وكلا النفقين يعانى من قبضة شياطين الظلام ..

- ألم ما هنالك يا بروفسور ..

- لا داعى يا شباب ..

ونظرت لهما باسما .. وانتزعت الكتيب من فمى :

- أعتقد أن هذا هو (اللابيرنث) الأسطورى .. لقد وجدناه أخيرا ... !..

★ ★ ★

٥ ـ أشياء غير مألوفة ..

أنت مثلي ياد .. (رفعت) تلهم سحر المجهول وبريقه .. وروعته ..

القشعريرة المقدسة التي تغزو عمودك الفقري ، كلما فكرت في ثلوج (الهيمالايا) .. أو أعماق المحيط المظلمة .. أو غابات (الملايو) التي لم يجرؤ إنسان على اجتيازها ..

أنت تلهم هذا .. وسوف تريحني من عبء الكلام عنه ..

أنت تلهم هذا .. لذا لست أطيل في وصف هذه الجزيرة ..

★ ★ ★

ـ (الليفيرنث) ؟.. تعني التيه الذي قام (ديدالوس) ببنائه من أجل (مينوس) ؟

ـ بالتأكيد .. إن الأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء كي تعرف أن هذه الصرخات متشعبة إلى حد لا يصدق ..

يوجد بناء آخر واحد يحمل هذه السمة وجميعنا يعرف اسمه ..

ثم إنني رفعت رأسي للسقف .. وهتفت بصوت مجلجل :

ـ أيها السيدان .. إن التاريخ يُصنع ها هنا ..!..

انحنى (ستاروس) يتأمل الأرض .. ثم جثا على ركبتيه وأمسك قطعة سوداء من العظام .. عظمة ساعد هي حتماً .. وتساءل :

ـ سيدي .. هل تعني أن هذه العظام هي ..

ـ نعم .. هي ....

ـ عظام ضحايا (المينوتور) ؟

ـ حتماً .. وإلا بم تفسر تبعثرها في كل موضع بهذه الكيفية ؟ لو كانت هذه مقبرة لوجدنا العظام مرتبة .. ولو كانت مقبرة وسطا عليها اللصوص فكيف خرجوا ؟

نظر لي (بسيلوس) ويصق قطعة اللبان .. ثم هز رأسه في حيرة .. وقال :

ـ لكننا جميعاً نعرف أن هذه أسطورة ..

قلت في صبر :

ـ (المينوتور) أسطورة .. هذا رأي يحتمل الصواب والخطأ .. من الممكن أن يكون أسطورة .. لكن

www.liilas.com

(اللابيرنث) حقيقة .. وقد تم إقحام الأسطورة عليها ... مثل قصة (أوديب) مع (ابو الهول) .. القصة مختلقة لكن (ابو الهول) حقيقة واقعة (*) .. ولقد نشأت كثير من أساطير البشر بهذه الكيفية .. لكني - برغم ذلك - لا أرى ما يمنع من أن يكون (المينوتور) حقيقيًا ..

جلس (ستاقروس) على الأرض متريثا .. وهو مازال ينهر بالعظمة شارد الذهن .. ثم قال :

- والآن .. ماذا سنفعل ؟.

قلت وأنا أشعل غليوني الذي لطفأ ثانية :

- لا شيء .. نغادر هذا النفق .. ثم نعود وفي نيتنا ألا نضل الطريق بداخله .. ومعنا ما يلزم من حبال وأجهزة اتصال لاسلكية ومعاول .. وبعدما نتحقق من أننا وجدنا شيئا هامًا ، يمكننا إبلاغ هيئة الآثار في (أثينا) .. إذ يبدو لي أن هذا النفق أكبر من قدراتنا ..

نهض (ستاقروس) وتثاءب .. فرمقه (ياسيلوس) في اشمئزاز .. وسمعته يغمغم في حنق :

(*) المواجهة الشهيرة بين (أوديب) والوحش المصري الذي له رأس امرأة وجسد أسد .. فقد وجه الوحش سؤالا عسيرا لـ (أوديب) - لكن هذا أبلغ عنه - من ثم تحول الوحش إلى تمثال عملاق ..

- كيف يمكن للإنسان أن يكون خنزيرا كسولا إلى هذا الحد ؟

ثم أطلق .. بينما نحن عائدون إلى الفتحة التي مزقنا سقفها .. ورحنا - بغباء كثير - نتسلق السلم النيفي إلى أعلى ..

وفي الخارج كانت الشمس المحرقة تشوي الموجودات بلا رحمة .. وكان الرجال مبعثرين وقد سكب بعضهم الماء على رأسه .. أو وقد عارى الجذع تحت قطعة قماش يحاول أن يجد تحتها ظلاً ..

ولم يبد واحد منهم أو فضول لمعرفة ما وجدناه ، فالفضول لم يك قط من مزاياهم ولا عيوبهم ..

أصدر (ياسيلوس) بتعال تعليماته لهم أن يعودوا لديارهم حتى إشعار آخر .. ثم راح و (ستاقروس) يدقان بعض الأوتاد المعدنية حول فتحة البئر التي مزقنا الآن أنها نقب في سقف النفق ..

وقاما بربط حبل غليظ ما بين الأوتاد وبعضها ، ليكون سورا يحجب الأطفال والفضوليين من السقوط في البئر ..

أما وقد تم هذا .. فقد انتصف النهار - وحان وقت العودة إلى ديارنا .. أعني غرفاتنا ..

★ ★ ★

فيما بعد عرفت ما يلي :

لقد عاد (باسيلوس) إلى غرفته في الخان .. ونزع ثيابه شاعراً بالضيق لكون الحمام غير متاح .. لكن الأمر عاجل .. فقد تحول شعره إلى عجينة من التراب والعرق ، لذا قام بالأسلوب العملي الوحيد ، وهو أن يستحم مستعملاً قصعتين .. واحدة يملؤها بالماء .. والأخرى يقف فيها كي لا يغرق الماء الأرضية ، ويكوز صفيحي صدئ يسكب الماء فوق رأسه وباليد الأخرى يفرك قطعة الصابون على جسده ..

وفي رضا راقب الماء المتسخ الذي تساقط من عليه .. شعور ممتع هو أن يعرف أن هذه الأقذار لم تعد تكسوه ..

ارتدى الثوب وراح يتأمل في إعجاب صورته في المرآة ..

وهنا دق الباب .. ورأى خيالاً مألوفاً يحمل عشاءه منعكساً في المرآة .. هذه هي (إيزابيا) ابنة صاحب الخان .. وهي فتاة تملك قدراً متواضعاً من الجمال .. لكن لا يمكن وصفها بالقبح .. إذا تجاوزنا عن عرج بسيط ..

تعسة هي .. يائسة .. يسهل على من يعرف التساؤل أن يعرف أنها تحب .. وبالطبع هو حب غير موفق بحال ..

ـ هذا عشاؤك ..

قالتها . ووقفت جواره صامتة تتأمله ، إذ يحدق في المرآة ..

ـ هل تريدين شيئاً ؟

لاذت بالصمت .. لثوان .. ثم تنهدت .. ودفنت وجهها بين خصلات شعرها الأشقر .. ومن كيانها تصاعد صوت نهنهة ..

في نفاد صبر سألها :

ـ أن تكفي عن هذا الهراء ؟

ـ بلى .. بلى .. سأكف ..

وازداد صوت النهنهة المتصاعد منها ارتفاعاً .. أردف (باسيلوس) :

ـ لا أرى لم تأخذين الأمور على هذا المنحى .. إن الرجال يروحون ويجيئون .. فلماذا أكون أنا وحدي المسئول عن تعاستك ؟ صه !.. لا تقولي شيئاً عن

الحب .. فأنا لن أمنح عواطفي لابنة صاحب خان أبدا .. ولقد تمنيت كثيرا حين أبديت لك لطفا .. لكن القصة قد انتهت الآن يا فتاة .. ولا داعي لأن تفسدي فصولها الأخيرة ..

- لكني أحبه ...

رفع إصبعه محذرا وعلى وجهه تقطيبة جادة :

- صه !.. هأنذي تعودين إلى لفظة الحب .. ولا أدري حقا ما هو هذا الحب الذي تشرقون به .. انظري لهذا الحساء ...

ومد المنعقة الصدئة فملأها من طبق الحساء .. ورفعها نحوه :

- أنا أحب هذا الحساء .. والآن .. سلوربه !.. لقد شربت ما يكفي .. ولم أعد أحبه .. الأمر كهذا ودون تعقيدات ..

توقفت الفتاة .. وحاولت أن تقول شيئا . بينما (باسيلوس) يشوك ما بالحساء من بصل وهو يرمق صورته في المرآة دون أن يحرك ساكنا .. وفي اللحظة الثانية هرعت الفتاة مغادرة الحجرة ..

موقف قاس - خطر له هذا - لكنه ضروري .. وهذا هو قدره .. كلما وجد فتاة أمامه ظل يلاحقها .. حتى إذا هامت به حبا صارحها بأنها غير جديرة به .. موقف قاس واجهه مرارا .. لكنه ضروري .. فلو أن أحدا ترك لأولئك الفتيات الحبل على الغارب .. فماذا يبقى من ذاتيته ؟ وماذا يبقى من حريته ؟

لكن هذا الحساء لذيذ لطعم حقا ..

* * *

فيما بعد - أيضا - عرفت ما بي :

كان (ستافروس) في تلك الأثناء جالسا في حجرته ، يدون التقرير اليومي عن نشاط الحفر .. حين دق الباب .. وراء تلك الفتاة الرقيقة (إيزيبيا) ابنة صاحب الخان . تدلف إلى الغرفة لتضع عشاءه على الخوان .. ثم تهم بالانصراف .. فناداها :

- (إيزيبيا) .. انتظري لحظة من فضلك ..

فتصلبت الفتاة بحركة آلية .. ووقفت تنتظر ..

تأمل وجهها .. وأدرك ما هنالك :

- أنت كنت تبكين ؟!

www.liilas.com

لم تجب .. لكن العبرات تزداد غزارة كلما سألت الحمقى عنها .. وكانت إجابة كاهنة ما يكون .. من ثم عاد يتساءل :

- هل هو (بانسيلومن) النعين ؟.. هل آذاك ؟

- كثيرًا يا سيدى .. كثيرًا !..

قالتها بصوت مخنوق .. وقبل أن يسألها عن المزيد كانت قد غادرت الغرفة ..

يا لـ (بانسيلومن) النعين !.. لقد اعتاد (ستافروس) أن يجد الخير نقيًا فى أشر الناس طرًا .. وأن يجد الشر فى قوى النيل والصلاح .. إلا (بانسيلومن) .. هذا الوغد هو شر مطلق بلا ذرة من عطف أو رقة أو حنان .. إنه نموذج للشخصية الأنانية (السيكوباتية) التى لا تريد من المجتمع إلا مصالحها .. ولا تعطيه شيئًا على الإطلاق ..

أما أسوأ ما فى الأمر ، فهو أن (ستافروس) كان يهيم بالفتاة حبًا .. منذ أن جاء إلى (كريت) وحتى الآن ..

★ ★ ★

لابد أن (إيزيبا) وضعت الشال على كتفيها ، وغادرت الخان عند منتصف الليل .. وحدها ..

ولابد أنها كانت تبكى .. ولابد أن العبرات كانت تحول بينها وبين الرؤية الصافية .. كل هذا مؤكد ..

لكن القمر كان بدرًا .. وجعلها هذا ترمع أن تتجه نحو الهضبة حيث كان الرجال يعملون صباحًا ..

من المؤكد لنا أنها فعلت هذا .. لأن آثار قدميها على الأرض الجيرية تؤكد أنها اتجهت فى هذا الاتجاه ..

كان يمكننا أن نقسم إن مشهد الهضبة كان رهيبًا فى ضوء البدر البارد الفضى .. وخيالات غامضة تتلاعب هنا وهناك .. لكن الحزن لا يدع فى النفس مكانًا لشعور آخر .. سواء كان الرهبة أو الخوف .. و (إيزيبا) كانت حزينة ..

حزينة إلى حد أنها لم تلحظ أن الحبال المحيطة بموقع الحفر قد تمزقت .. وأن البئر صار بلا حدود تحيطه ..

حزينة إلى حد أنها لم تسمع صوت الخطوات من ورائها .. !

حزينة إلى حدّ أنها لم تسمع صوت الخطوات من ورائها ..

حزينة إلى حد أنها لم تصرخ ..

وعقلها لم تجد الوقت الكافي لذلك ..

* * *

إنه الصباح ..

وحين صحونا من النوم أدركنا أن الأمور ليست على ما يرام في الخان ، رجال يدخلون ويخرجون .. وضوضاء ..

نظرت نحو (هيلين) متسائلاً عما عساه مصدر هذه الجلبة ، وكانت الإجابة سريعة هذا ، وغير متوقعة بحال ..

اقتحم غرفتي صاحب الخان - على غير استئذان - وهتف :

- ألم تر ابنتي (إيزيدا) ؟..

- بلى .. وقت العشاء .. طبعاً ..

- لم يرها أحد بعد هذا .. إنني لا أفهم !..

ثم فارقني غير منتظر لردي ..

خرجت وراءه ، لأجد الخان مليئاً بالوجوه المتسائلة ، والشوارب الكثة ، والبنادق تنظر من رجال الشرطة المحليين ..

www.liilas.com

وكان (باسيلوس) يقف بينهم بقامته العديدة .. يكرر في ثقة :

ـ للمرة الألف أقول إنها قدمت لي العشاء ثم انصرفت .. وليست لدي أدنى فكرة عن ..

ـ اخرس أيها الثعبان !..

صاح (ستافروس) في عصبية .. وأنا لم أر (ستافروس) يتشاجر في حياتي ، وعهدي به اللباقة والاستسلام .. لكنه في هذه المرة كان ثائرا كبركان . وقد احتشد الدم في وجهه وكاد يسيل من أذنيه ..

ورأيته يشير إلي (باسيلوس) متهما :

ـ إنني واثق أن هذا الفتى مسئول عن اختفائها .. لقد رأيت الفتاة وكانت في حال غير طبيعية .. وأنا أعرف أن هناك شيئا ما بين الاثنين ... :

ـ هراء !..

قالها (باسيلوس) وهو يرمقه بنظرات لو أنها تفتقر لأحالته إلى مصفاة آدمية ..

رأيت كلي في كياسة ، طالبا حقي الطبيعي في أن أعرف ما يدور هنا بشأن اثنين من معارفي ... فقال لي أحد رجال الشرطة :

ـ الفتاة خرجت من الخان أمس عند منتصف الليل .. هناك من رأوها تفعل .. وآثار أقدامها واضحة على الأرض .. ثم لا أثر لها بعد ذلك .. نحن نعتقد أن هناك من تحرش بها ..

في غضب صاح (ستافروس) :

ـ بل انتحرت .. بلعت نفسها ، وعندي على ذلك ألف يقين .. لقد آذى هذا العقرب الوسيم روحها .. ابحثوا يا رجال عن جثتها في بحيرة .. أو مهشمة أسفل مرتفع .. أو مدلاة من حبل في سقف كنيسة مهجورة ..

صحت فيه محتجا :

ـ (ستافروس) !.. أمرك أن تخرس .. لا تزد الأمور تعقيدا ..

ثم نظرت إلى الرجال قائلا أن يدلوني على مسار خطوات الفتاة .. وخرجنا في موكب غاضب من الأهالي ورجال الشرطة ، ونساء (كريت) المولولات دائما في ثيابهن السوداء .. كل هذا يحيط بالاثنين ..

وفي ضوء الشمس الحارق رأينا خطوات حذاء أنثوي تتجه نحو المرتفع .. المرتفع حيث كان الحفر يجري بالأمس ..

www.elias.com

صحت في الرجال وقد فهمت ما جرى :

ـ هناك من مزق الحبال المحيطة بالفتحة .. لابد أن الفتاة قد سقطت في البئر إلى داخل البيت ..!..

ـ إذن هاتوا الحبال ..!..

وتدلى أحد الرجال ـ من ذوى الوزن الخفيف ـ في حبل .. وراح ينزلق عليه إلى أسفل بحذر ..

على حين وقفنا نحن بأعلى نرمق الفتحة المظلمة .. ونرمق رأس الرجل ينزلق ببطء ليختفى في الظلام .. ونمر دقيقتان ..

ثم سمعنا صوته ينادى في هلع :

ـ يا رجال !.. قد وجدت عظامها !..

تصايح الناس في هلع .. وهوى أبوها على ركبتيه يقرع رأسه بكفيه .. وصرخت عجوز وشقت ثيابها ...

هنا صحت في أحدهم الجميع :

ـ صبرا يا إخوان ..!.. إن هذه العظام موجودة منذ الأمس .. وهى تعود لتاريخ سحيق .. وحتى لو فرضنا أن الفتاة قد سقطت في البئر .. فما كان لها أن تتحلل بهذه السرعة !.. إن (إيزابيا) في مكان آخر دون شك ..

بدا عليهم الاقتناع .. وتنفس بعضهم الصعداء ..

ثم رأيت الرجل الذى كان قد هبط إلى القاع يصعد متسلقا الحبل ثانية .. وفي جيبه بعض ثلاثة عظام ليريناها إياها ..

قال رئيس الحفر ، وهو ينقى بالعظام أرضا :

ـ لا عليك يا (خريستو) .. مادمت لم تجد الجثة ذاتها مهشمة العنق ، فما زال أمامنا أمل ..

ثم التفت إلى الرجال آمرا :

ـ فلتلتقط الكنيسة المهجورة .. ولتمسح الشاطئ كله ..

وانصرف الرجال جميعا .. في حين تخلفت أنا و (ستافروس) و (باسيليوس) .. كان (ستافروس) راكعا على ركبته يتفحص عظمة طويلة وجدها بين هذه العظام التي أخرجها الرجل من البئر ..

ـ هل ثمة شيء يا (ستافروس) ؟

قال وهو يتشمم العظمة .. ويتفحصها في عناية :

ـ إنها عظمة ساق .. أصغر من رفيقتها وملمسها أنها طازجة .. لم تجفلها السنون كباقى العظام ..

ثم نظر لى نظرة ذات معنى .. وأردف :

www.liilas.com

- إن لي خبرة طبية معقولة لأنني بدأت دراسة الطب ولم أستكملها .. هذه لعظمة هي قصة ساق يسرى .. ويوجد كسر مبين الالتئام في منتصفها .. (بلسيلوس) .. فلقد كانت (إيزيبيا) تعرج في سيرها قليلاً .. فأية ساق كانت تعرج بها ؟

بال (بلسيلوس) شفتيه بلسانه .. ونظر إلى الأسفل .. وغمغم :

- كانت تعرج بساقها اليسرى !!..

.....

* * *

٦ - ومزيد من الأشياء ..

قمنا بإعادة ربط الحبل حول البئر ، وزدنا عددها هذه المرة لتكون سورا حقيقيا يمنع أى شخص من الدنو هناك ..

لم نخبر أحدا بقصتنا لأن احتمال الخطأ وارد .. وبداية اسم الإنسان لا يكتب حفرا على عظامه ، فنحن لا نستطيع أن نقسم إن هذه هى عظام الفتاة ..

غدا نستكمل البحث داخل هذا البئر ، ونعرف أكثر ..

أما الآن فنشيق النسر بيننا .. لأن أول ما سيقوم به هؤلاء الأهالى المحتفلون ، هو أن يطلقوا على البشر اسما شاعريا مثل (قمم الشيطان) .. ثم يحضروا الديناميت أو الخرسانة ليسدوا هذا الفم نهائيا ، ويضيع علينا كل المجهود الذى قمنا به ، ولن نعاود الحفر إلا فى حماية كتائب من الجيش الثوناتى وبدائيين على الأقل ..

www.kitabatlas.com

لهذا عدنا إلى قواعدنا سالمين ..

وفي نفس الوقت كان الرجال يبحثون عن شيء ما في الجزيرة كلها .. دون جدوى طبعا ..

★ ★ ★

تسألني - وأنت محق في هذا - عن السبب الذي منعنا من سد الحفرة نهائيا .. لقد عرفت فيما بعد مدى خطئك ..

لكن ماذا أقول لك ؟

إننا يونانيون .. ونخضع لقواعد الدراما الإغريقية (الأرسطوطالية) حيث البطل يسير - بإصرار مزعج - نحو قدره .. وحيث يتذرع كل شيء بالمصير المحتوم لكنه لا يبالي ..

★ ★ ★

عند العصر عاد الرجال خالي الوفاض إلى الخان ..

ورأيت صاحب الخان - أبا (إزيديا) - يتقدم في خطوات متثاقلة إلى منتصف قاعة الطعام .. مقبرا مشعثا ملوثا بالعرق .. وقد اختلط شعره بالتراب . وتمزقت ثيابه .. لابد أنه زحف داخل الأنفاق من كهف .. وتعثر في أكثر من سقف .. وغاص في أكثر من بئر ..

ثالث عبيده جمعوا من متفرقين من نهب ..

ورأيته يقف أمام (باسيلوس) .. يبتسم هذا الأخير مازال يلوك قطعة اللبان في استعلاء . ويداه في جيبه متحديا ..

قال صاحب الخان ضاغطا على أسنانه :

- اسمع يا ابن الشيطان .. لم أجد دليلا على أنك مسئول عن اختفاء ابنتي .. لكني - والله يعلم ذلك - أعرف أن لك علاقة بالأمر .. لهذا اعتبر نفسك إلى الأبد ميتا من الآن فصاعدا ! ..

بلا مبالاة تماما (باسيلوس) :

- هذا معقول .. رمشي ؟

- حين أقرر أنا .. والآن اخرج من هنا !.. لا أريد أن أراك تحت سقف داري ثانية ..

وأشار إلى الباب في حزم ..

لمح (باسيلوس) بين الدعماء . متظاهرا بعدم المبالاة .. وخرج ..

قلت محاولا تهدئة الأمور :

- أي (يانس) .. إن الفتى لم يفعل ما تظن أنه فعله ..

- لا يهم .. ما أعرفه هو أن له علاقة ما بالأمر ..

قال زميل الحفر ، وهو يصب لنفسه بعض الشاي :

- غدا نواصل بحثنا .. نحن لم نتأكد قبل الظهر بعد ..

قال قائل :

- والطاحونة المهجورة ..

- إن غدا لناظره قريب .. أما الآن فقد بدأ الظلام ..

* * *

بدأ الظلام ..

يا لهذا الحارس الليلي من كائن غريب !.. بعباءته السوداء المتنافية يخطو منحنى القامة بين الدروب .. يطفئ هذا المصباح وذاك .. يلقي عباءته فوق المنعطفات وبين الديار .. يبعثر زهور الفستوني والرهبة هنا وهناك .. يحييه البوم .. وتعرف له أجنحة الوطاويط .. وتنبح الكلاب .. وتعوي القطط الضالة ..

إن الظلام هو الملك المطلق للبلاد .. فالمجد له ..

لكن الظلام لم يثر خوف (لازاريدس) ..

إنه يعرف هذه الجزيرة كظهر يده .. ويعرف أنه ما من شيء يحدث فيها على الإطلاق ، وحتى لو حدث

شيء فهو يحدث للآخرين فقط .. الآخرون فقط يجرحون ويصابون ويموتون .. أما هو ...

الحقيقة الآن هي أنه ثمل تماما ..

لقد أفرط في احتساء (الأوزو) في الحانة منذ ساعة ، وهو يعرف ما سيحل به حين تعرف مرأته ذلك ..

(ثالثا) القوية الضخمة سليطة اللسان .. ستبدأ بالصراخ فيه ، ثم تكيل له عددا من اللكمات .. ثم ...

لا يهم .. فلم تعد ضرباتها تؤلمه ..

المشكلة هي أنه يشعر بساقيه ليستين كعودين من (السكرونة) المسلوقة ، أو قالبين من (الهلام) ..

المشكلة هي أن البيت مازال بعيدا .. بعيدا جدا ..

يمكنه اختصار المسافة لو صعد هذا المرتفع ، ليمر بموقع الحفر الذي يعمل به كل هؤلاء المخابيل من (ألبا) .. والذي يعمل به هو أيضا .. لكنه لن يعمل به غدا لأنه بالتأكيد سيظل فاقد الوعي حتى الظهر .. وسيصحو بصداع لعين .. وسيحسر أقداح عصير الطماطم محاولا أن يفيق من تأثير هذا السكر ..

شرع يغني بصوت عال :

- لا يا (ميخائيلوس) .. أنا لن أعود لسماع أنغامك جوار شجرة (الدردار) .. لأن ... !؟!

لاذا برقبي المنحدر .. والتعلب يميل من فيه ..

- .. لأن .. القرية كلها تعرف أمرنا ... و ....

تبا ..! هذه الصخور تمزق نعليه .. إن أقدامه لم تعد تطيع ...

- ولأن أبي قال لي .. لا .. ليس (ميخائيلوس) .. إنه لا يجيد سوى عزف المزمار .. وأمي .....

فيه ..!.. هو ذا قد وصل إلى جوار الحفرة التي حفروها أمس .. والتي حسبوا أن الفتاة قد وقعت فيها ..

- وأمي قالت لي .. لا .. ليس (ميخائيلوس) .. إنه لا يملك سوى قلبه الفتي وأراعيه الكوبين .. و ...

شيء غريب !.. إن هذه الحفرة تحيطها حبال ممزقة تتدلى من أوتادها .. لماذا يحيط هؤلاء المخبولون جفرتهم بأقصاف حبال ؟ من الغريب أيضا أن .. أن

(*) أغنية من خيال المؤلف .. فلا توجد أغنية يونانية بهذا الاسم !

ماذا ؟.. لقد نسي !.. هي فيه !.. إن الأقدار سريعة البطش حقا ..

وبصوت أجش واهن القناء :

- .. وخالني قلت لي .. لا .. ليس (ميخائيلوس) .. فهذا الفتى يملك عينين تسحران من تراهما .. لهذا ...

يخيل له أنه يسمع صرخات من وراء ظهره ..

خطوات .. وصوت أنفاس لاهثة .. لا .. بل هو شيء أقرب إلى خوار الثيران ..

- .. لهذا يا (ميخائيلوس) .. لن أعود لسماع أنغامك جوار شجرة (الدردار) ..

هذا الشيء ثقيل الحركة بالتأكيد ..

إنه يدنو منه أكثر فأكثر ..

وفي اللحظة الثانية أحس بكف ثقيلة توضع على كتفه ..

صرخ في هلع .. واستدار ليرى ..

* * *

أنهت (ماريا) غسيل الثياب لأسرتها الصغيرة ..

للأسف أن الوقت ليل .. لكنها واثقة من أنه سيجف سريعا ، لأن الهواء جاف حار ... وهو أنسب لجفاف الثياب ..

شرعت تعلق الثياب فوق الحبل الذي يمتد من جدار دارها إلى شجرة البلوط القريبة . ثم إنها عادت إلى الكوخ لترى ما إذا كانت طفلتها مازالت في سلام ..

إن (ماريا) على قدر لابأس به من الجمال برغم أعوامها الأربعين . وطفلتها قد ورثت عنها ذات الجمال .. لذا بدت الصغيرة كملاك نائم .. ملاك بلا ثياب الداخلية للأسف !..

نزعت عن الطفلة سراويلها واستبدلتها لها . دون أن توقظها .. ثم رأت أن الوقت مبكر بعد .. ولن يعود زوجها من الحانة ـ ملتقى كل رجال البلدة ـ لأبعد ساعتين ..

فلماذا لا تنتهز الفرصة وتغسل هذه الثياب في البئر سريعا ؟ إن البئر قريبة .. والقمر التيلة مكتمل ..

لهذا غادرت الدار مسرعة . قاصدة البئر التي تقع جوار المرتفعات ..

وهذه هي مشكلة الطموح الزائد ..

لقد أنساها هذا الطموح أن تغلق باب الكوخ على طفلتها النائمة .. و ..

* * *

كان هذا هو (ميكوس) العجوز خير الدرك ..

ـ (لازاريدس) أيها الشقي .. لسوف تهشم عنقك يوما ما في إحدى جولاتك الليلية ..

تنفس (لازاريدس) الصعداء .. وهوى على رأس (ميكوس) يشتمها :

ـ لقد أخفتني أيها العجوز .. إن لأنفاسك خوارا كخوار ثور ..

ـ إنه الربو يا (لازاريدس) .. الربو .. هلا عدت لدارك الآن ؟ إن أشياء غريبة تقع في البلدة هذه الأيام . ويبدو أن هؤلاء الأثينيين أبناء الشياطين قد جلبوا نحسهم إلى (كنسوس) .. هيا .. عد إلى دارك ..

هز (لازاريدس) يديه في وجه البئر .. وهتف :

ـ كنت أمزح أيها العجوز .. أمزح ..

وعاد يقفي في صوت لجش وهو يترنح مبتعدا ..

ـ لا .. يا (ميخائيلوس) .. أنا لن أعود لسماع أنغامك جوار شجرة (الدردار) ..

كانت هذه هي الأغنية التي رددها .. كما أكدّ (ميكوس) في المحضر الرسمي الذي كتبه بعد يوم ..

ولقد آثار هذا الاهتمام بالتفاصيل ضيق رئيس الخفر ، لكنه رأى ألا بأس من ذكر هذا في المحضر ..

والمؤكد أن (لازاريدس) قد شفر من ادمان الخمر بعد تلك الليلة ..

شفى إلى الأبد ..

* * *

خيل إلى (ماريا) أنها سمعت صوت خطوات ، فنظرت حولها تتري .. ولم يكن هناك شيء ..

عادت تغسل الثياب فالتفتت لطفلتها في مياه النهر ..

حين خيل إليها أنها تسمع صوت خوار كخوار الثيران ..

مستحيل هذا .. لابد أنه صوت جريان المياه ..

واصلت غسيل الثياب .. حين بدأت تشعر أن الصوت يزداد ارتفاعا .. كان القمر يرتمي أمامها في مياه النهر .. ومعه وجهها الوسيم .. وفي كل لحظة تهتز الصورة وتتموج .. تذكرت - بالتأكيد - قصة الفتى (نركيسوس) الذي عشق صورته في الماء ، وحسب أنها عروس بحر حسناء . فكلما حاول أن يلثمها تشوش الماء .. وغابت

الصورة عن ناظريه .. وفي النهاية انحدر الفتى المطعون في حبه جوار ضفة النهر ، ومن جثته نمت أزهار نرجس (*) .

إن وجهها هو أقرب إلى وجه عروس بحر حسناء ، ترمقها من تحت الماء في ولع وافتتان ..

لكنها لاحظت شيئا آخر يطل من فوق كتف عروس البحر في الماء .. ثم تذكرت أن هذا الشيء هو بالتأكيد يلف خلفها هي ..!

لم تتبين ما هو

لكنها عندما تبينته عرفت أنه رأس .. رأس شيء ما ..

شيء يلتف خلفها الآن .. ويصدر أصواتا غريبة ...!

* * *

وحين مر (لازاريدس) قرب النهر ..

لابد أنه رأى مشهدا مروعا .. مشهدا لم يستطع فهمه من اللحظة الأولى .. لكنه في ضوء القمر يبدو واضحا بغير حاجة إلى مزيد من الإضاءة ... وطارت الخمر من رأسه فورا ..

(*) هذا هو أصل كلمة (نرجسية) أي العاشق لذاته ..

لابد أنه صرخ .. لابد أنه هرب ..

وفجأة توقف وهو يشعر بخفقات قلبه تتسارع وتتسارع ، حتى لم يعد يستطيع التحكم فيها .

ألم ممض يغزو صدره .. وستار أسود يهبط أمام عينيه .

وإذ سقط أرضًا .. لابد أنه رأى الشيء يدنو منه ..

* * *

وإذ سقط أرضًا .. لابد أنه رأى الشيء يدنو منه ..

www.liilas.com

٧ ـ أسطورة المينوتور ..

نفد صبر الملك .. وجاءت العواصف في أرجاء المعمورة .. ومن بين الغيوم هطل سيل غاضب هتون ..

هكذا كان (هوميروس) أو (سوفوكليس) سيصفان رد الفعل الذي اجتاح أرجاء (كنسوس) ، حين صحا الناس ليجدوا ماساتين في جزيرتهم المهدئة ..

(لازاريدس) العجوز وجهوه ملقى على الأرض قرب البئر ، وعلى وجهه أعلى أمارات الرعب ..

أما (مارينا) فقد عاد زوجها ليجد طفلته تبكي وحيدة في الكوخ .. وراح ـ مسعورا ـ يبحث عنها في كل صوب ..

وفي الصباح وجد ثيابا ممزقة قرب البئر .. وقطرات دم .. ثم لا شيء يدل على مكان زوجته .. لكن الثياب ثيابها حتما .. والثياب المتلفة على حافة البئر في سروال داخلي لطفلته .. واضح أن الأم المسنة كانت تغسله حين .. حين ماذا ؟

لا أحد يدري ..

* * *

في دار العمدة جلس عشرة رجال حول مائدة . يحتسون القهوة ويدخنون . وقد بدت عليهم أمارات الجدية ..

كنت أنا بين هؤلاء الرجال .. و (ياني) صاحب الفندق .. و (ستافروس) و (باسيليوس) .. والعمدة نفسه بدانته وصلعته المميزة . وشاربه القصير المضحك ..

وخارج الدار وقف خمسون رجلا هائجا ، عازمين على تحطيم أي شيء في أية لحظة لأي سبب .. فقط علمهم فرصة الانفجار .. إن الإنجليزية تحوي لفظة هي panic لا تملك مثلها في اليونانية ، ولا أدري إن كان مثلها في العربية .. إنها تعبر بصدق عن الهلع الجماعي المصحوب بانفلات الأعصاب ، مع عجز تام عن التعقل ..

وهذا كهذا هو ما يجعل رواد المسرح يتدافعون نحو الباب إذا رأوا دخانا أو شموا شواظا .. غير عابئين بتهشيم بعضهم البعض تحت الأقدام ، أو سحقا فوق الجدران ..

ولغة panic هى خير تعبير عن حالة الفوضى فى هذا اليوم ..

وفى الداخل كنا أكثر هدوءا .. وكنت أنا أقول فى تعب :

ـ هكذا .. ترى يا عمدة أننا فى مأزق .. وأرجو أول ما أرجو أن تعيد الاعتبار إلى مساعدى (بامبلونس)

هتف العمدة فى تبسط :

ـ طبعا .. طبعا .. أعتقد أن (ياتى) لم يعد يحمل ضغينة ما

ابتسم (ياتى) ابتسامة صفراء .. ولم يقل شيئا ..

أضفت وأنا أشعل غليونى ..

ـ نحن الآن واثقون أن هذا الشىء الذى يجتاح القرية ؛ وخلفنا أرواح ثلاثة أبرياء .. إنما جاء من الحفرة .. جاء من القبو الذى وجدناه بالأمس .. والدليل على هذا هو تمزق الحبال التى أحطنا بها الفتحة أمس .. للمرة الثانية تتمزق ... وأنا لست ميالا إلى أن هذا عبث عابث .. فلا سبب يدعو شخصا عاقلا لتمزيق حبال تحيط ببئر .. إن الشىء هو الذى مزق الحبال .. وأظنك أجزم أنه كان يحمل ضحيته إلى البئر عائدا فى كل مرة ..

ومدت يدى إلى نفاقة من ورق أحملها .. وقلت :

ـ هوذا الدليل على كلامى .. هذه العظمة أثارت انتباه (ستانروس) .. أمس .. وأعتقد أنه مصيب ..

ورفعتها لأروها .. وبالطبع تحاشيت ذكر أسماء .. لأن هناك احتمالا لا بأس به فى أن يكون (ياتى) هو أبو صاحبة العظمة !

ـ كما ترون .. هذه العظمة طازجة .. لحاؤها أحمر .. ويخيل لى أنها تخص إحدى ضحايا الشىء .. وقد وجدناها فى الحفرة ..

ساد الصمت هنيهة ..

بعد لحظات تساءل أحد الرجال :

ـ ولماذا لم يمس هذا الشىء (لازاريدس) ؟..

ـ لأنه كان قد مات .. وهذا ما تفعله الدببة حين تجد جثة .. فتتشممها .. ثم تنصرف عنها فى فتور ..

مرة أخرى عاد الصمت ...

وإن كنت قادرا على سماع الأفكار تدوى فى أذهان الجالسين ، وإن تعد أنفاسهم ..

بعد قليل همس العمدة :

ـ أرى أن الجميع يشاركنى الرأى فى وجوب سد الحفرة ..

قلت في احباط :

ـ لكن كشفًا كهذا لا يمكن أن يظل ..

ـ إن الخطر يفوق القائدة المرجوة .. وعلى كل حال يمكنكم دائمًا أن تعودوا مع حشد من عسكرى (أثينا) ، لتفتيش الدهليز .. ومحاصرته .. وتمشيطه ..

* * *

هنا تساءل (ستافروس) وهو يضع القدح على المنضدة :

ـ ترى هل مازلت تؤمن بوجود (المينوتور) يا بروفسور ؟

تصايح الرجال بالكلمة في دهشة ..

فكلهم سمعوا هذه الأسطورة منذ نعومة أظفارهم .. و (كريت) كلها تعيش في هذا الجو منذ الفجر وحتى غروب الشمس ..

ـ (مينوتور) ؟ (مينوتور) ؟ ..

قلت أنا محاولاً أن أبدو عقلانيًا باردًا :

ـ هذا مجرد فرض .. (اللابيرنث) به وحش .. فماذا عساه يكون هذا الوحش سوى (المينوتور) ؟ ..

ابتسم العمدة في تهكم مهذب ..

على حين قال (يانى) وهو ينتزع البيريه من على رأسه :

ـ لو فرضنا هذا جدلاً .. فالأسطورة ذاتها تقول إن (ثيثيوس) قتله .. فكيف عاد للحياة ؟

ـ أنا أفترض ولا أملك أدلة .. لكن لماذا لا نفترض أن الملك (مينوس) أذاع هذا ليتهى حربه مع (أثينا) ، وينقذ ماء وجهه من إخفاقه لمدة سنوية كانت تورق ضميره ؟

لماذا لا نفترض أن (ثيثيوس) كاذب ؟ بل لماذا لا نفترض أن (ثيثيوس) شخص افتراضى ، ولم يكن له وجود ؟

قال العمدة ملوحًا بكفيه :

ـ لكن .. لكن .. نحن لن نضيع الوقت في افتراضات لا جدوى منها .. لكن ما يهمنا هو (المينوتور) أو حماقتى لا يهم .. المهم أن هناك وحشًا مفترسًا يجب منعه من الخروج ..

ثم أصدر أوامره إلى رجلين جالسين ، بدت عضلاتهما المفتولة في الساعدين والكتفين العريضين ..

ـ (سيبروس) و (كوستا) .. عليكما أن تصحبا الرجال إلى البئر .. وتقوما بما يلزم لسد هذه الفتحة ..

www.rilas.com

ـ ليكن .. سندعمها بالحديد ، ثم نصب فوقها طبقة من الأسمنت .. وبعدها نهيل التراب عليها .. وترويه ..

ـ على بركة الله ..

قد يكد المساء يجيء ، حتى انتهت الفتحة تماما .. ولم يعد يسيرا العثور عليها حتى بالنسبة لنا ..

إنه قرار صائب حقا ..

★ ★ ★

نعم .. هو قرار صائب بالنسبة لـ (تيتوس) .. ولن يتراجع عنه ..

كان الجميع يقولون إنه مشاغب ، ويقولون إنه مولع بالتحدي وروح القتال ..

وقد كان كذلك ..

إن أعوانه العشرة تغرى من هم أكبر بالسخرية منه .. وتطاولوا حاول أن يتفوق على من كانوا أكبر منه سنا .. استعمل ألفاظا أكثر بذاءة من ألفاظهم .. حفظ نكاتا أوقح من نكاتهم .. تعلم تدخين التبغ منهم .. تشاجر مرارا على غرارهم ..

لكنهم لم يقبلوه قط بينهم .. دائما كان بالنسبة لهم (ذلك الغرير) .. ولطالما سخر منه (فرانجوليس)

ـ أو (فرنجو) كما يسمونه ـ لأن صوته رفيع كالفتيات وتقاسيمه ناعمة لا تكسوها تلك الخشونة السوداء المحببة في ذقون هؤلاء ..

كان يحدث أحيانا .. لكن بعض الصفات كانت تلقي به أرضا فوق الغبار ، يبكي فرائصه الجريحة أكثر من بكائه ألما ..

واليوم قال له (فرانجوليس) ، وهو يمسك بتلابيبه :

ـ اصغ لما أقول يا (لينى) .. وإلا فتحت كرشك ..

كان النصل الحاد للمطواة الصدئة يغرس في لحم بطنه .. وكان يعرف أن (فرانجو) لن يجرؤ على (فتح كرشه) ، لكن الشعور كان كريها وغير مريح بالتأكيد ..

ـ أنت تزعم أنك رجل .. أليس كذلك ؟ ..

قال بعناد :

ـ بلى .. رجل ..

ـ إذن .. سترينى ذلك ..

وقاده مع عصابة الفتيان المراهقين إلى المرتفع .. قرب مكان الحفريات التى كان يمارسها الرجال من (أثينا) ..

ورأى (نيقوس) حفرة في الأرض .. جوارها تراب متكوم ومعول ..

- تريد منك أن تهبط في هذه الحفرة ! ..

قال واحد آخر وهو يشعل لفافة تبغ .. (عقب للفافة في الواقع) :

- نحن حفرنا هذه الحفرة .. إن شيئاً مروعاً يحدث بهذا المكان .. ولقد ردموا اليوم الحفرة التي صنعها الأثينيون .. لكننا اصطنعنا هذه .. وستكون هي اختبار شجاعتك ..

ونظر (فرانجوليس) إلى عينيه .. وهتف :

- هل تجرؤ على النزول يا (نيقوس) ؟

- ولم لا ؟

قالها بتحد كعادته .. فتبادل (فرانجوليس) نظرات السخرية مع من حوله ، وهو يلوك عوداً من القصب بين أسنانه ..

إن زعامة هذا الطراز من المراهقين ، تكون للأكثر قدرة على إيذاء الآخرين .. والأكثر سادية .. والأكثر بذاءة ..

وكان (فرانجوليس) يعرف أنه لكي يحتفظ بزعامته ؛ عليه أن يحافظ على درجة معينة من السادية والبذاءة .. والقسوة ..

لذا قال للصبي :

- ليس الآن يا (نيقوس) .. بل ليلاً ! ..

قال واحد من العصابة :

- لا تقس على الآلهة يا (فرانجو) .. أنت تعلم أنه لا يجرؤ ! ..

قال (فرانجو) في لهجة رحيمة :

- حقاً يا شباب .. وهذا مؤسف .. إن هؤلاء الأطفال ..

وهنا كان طبيعياً أن يثور الصبي ، وقد لعبوا على الوتر الحساس المضمون .. صعد الدم إلى رأسه وأزمع أن يقبل لعبتهم الخطرة دون مناقشة ..

- لكن يا (فرانجو) .. ثلاثة عقد منتصفها ..

- هذا ولد شجاع ...

* * *

وها نحن أولاء نرى (نيقوس) وقد عقد أمره على قبول التحدي .. كان خائفاً .. لكن كبرياء الأطفال كانت أقوى من خوفه ..

www.liilas.com

ها هوذا بدنو من البئر الجديدة التى حفرها هؤلاء ..

فيجد - فى الظلام - (فرانجو) وثلاثة آخرين ينتظرونه .. وناوله الأول شمعة .. وأشعل فتيلها .. ثم همهم :

- ستقضى ربع ساعة هناك .. بعدها تخرج .. وسنكون بانتظارك لنعلن أنك حقًا رجل ..

تناول الصبى الشمعة دون كلمة ..

ثم اتجه إلى فتحة البئر ، حيث كان حبل غليظ ربطه المرافقون فى شجرة قريبة .. وبدأ يتسلق إلى أسفل ممسكا الشمعة بيد .. والحبل بيد أخرى ..

ولم يكن الارتفاع كبيرًا .. خمسة أمتار لا أكثر ..

وسالت قطرة من الشمع الساخن على كفه .. فهزها ليخفف من الحرق الذى شعر به .. لعق يده .. ثم تسلى عن الحبل ..

ونظر لأعلى ليرى .. فوجد الحبل يرتفع .. ثم يسقط من أعلى ليتكوم على الأرض بجواره كثعبان ميت ..

وفى اللحظة الثانية رأى وجه (فرانجو) يطل من أعلى :

- حظًا سعيدًا مع الأشباح يا (تيتى) ..!.. سنعود لنك فى الصباح لنراك .. هوهوه !.. أو تفضل ما تبقى منك !.. هوهوه ! ..

وبدت عدة (هوهوات) من الثلاثة الواقفين حوله ..

وعندئذ فقط تذكر (نيكوس) أنه مازال طفلاً ..

طفلاً وحيدًا فى الظلام ...

★ ★ ★

www.liilas.com

٨ ـ الوحش بيننا ..

الخاطر الأول هو وضع الشمعة على الأرض وتثبيتها :

الخاطر الثانى هو تسلق الجدار للخروج من الحفرة ..

نظر (نيقوس) إلى أعلى ..

المشكلة هى أن الفتحة فى منتصف السقف ، وليست جوار الجدار . وبالتالى عليه أن يتسلق لأعلى .. ثم يمشى على السقف كذبابة حتى يصل إلى الفتحة .. ويخرج جسده منها ..

أما محاولة قذف الحبل لأعلى ففاشلة حتمًا . لأن الحبل لن يجد ما يتعلق به ..

وهنا ـ على ضوء الشمعة المتراقص ـ رأى قطعة حجر بارزة من الجدار قرب السقف ..

سيكون عليه إذن أن يقذف حبله ليلتف حول هذا الحجر .. ثم يتسلقه إلى أعلى .. وحين يصل إلى مستوى الحجر ربما أمكنه أن يعيد قذف الحبل إلى حافة الحفرة .. وربما أمكنه أن يصل إليها ..

مد يده يصنع أشبوطة من الحبل ..

وفى حذر كوّم الحبل .. ورماه إلى أعلى ..

فشل مرتين .. وفى المرة الثالثة التف الحبل بأشبوطته حول الحجر البارز .. جذبه ليتأكد من أنه سيتحمل ثقله ..

ثم بدأ يتسلق ..

كان يرتجف كورقة .. ودموع الخوف تبلل عينيه .. لكنه كان يعرف أن عليه ألا يبالى بهذا القلق لحظة أخرى ..

فلم يمنعه الذعر من القيام بعمل إيجابى ..

الأرغاد .. الأذلاء .. حين يخرج من هنا سيمزقهم بيديه .. وسوف يعرفون من هو (نيقوس) حقًا .. سينتشب أصابعه فى عنق (فرانجو) وينتزع حنجرته وسط هلع الآخرين .. وصراخهم ..

وغدًا يأخذونه وسط هلع الآخرين .. وصراخهم ..

وغدًا يأخذونه إلى المقصلة .. وهناك سيقف أمام رئيس الدير والدم يسيل من ثقوبه ويبلل ثيابه ..

وسوف يسأله (ميكوس) العجوز عن سر قتله لأولئك المراهقين الأربعة .. فيقول فى مللٍ :

وفي المرة الثالثة التف الحبل بأنشوطته حول الحجر البارز .. جذبه ليتأكد من أنه سيتحمل ثقله ..

ـ لقد استفززتني أيها العجوز .. استفززتني !..

عندئذ يقبض (ميكوس) حتى تتبدى استدانه الصخرة .. ويبصق .. ويقول :

ـ كان هذا جيدا يا فتى .. إن أولاد الأفاعي هؤلاء يستحقون ما هو أكثر .. هي هي هي ..!

ومع ضحك العجوز يضحك (نيكوس) .. يضحك .. يضحك وهو يواصل تسلق الحبل إلى أعلى .. وقد عاد إلى أرض الواقع .. ويتأمل الخطوط على الجدار التي كتبها أشخاص مجهولون من قبل .. ويرى علامات عدة ..

كان قد وصل إلى مستوى السقف . ومن هناك يلتمس في طريقة للزحف أفقيا حتى يصل إلى الفتحة .

رفع جسده ليمتطي الصخرة البارزة . ولحاظها بفخذيه كأنها صهوة حصان .. ثم فك الحبل من حول الصخرة .. وتهيأ لقذفه تجاه فتحة البئر .. حين سمع الصرخة ..

★ ★ ★

ترى هل تألموا ..؟.. إذا لم يكونوا قد تألموا فلماذا صرخوا ؟

من قصة (رأس ميدوسا) ..

الكتيب السادس

★ ★ ★

في اللحظة التالية ظلت الفتحة ..

لم يعد يرى ضوء القمر المتسرب من خلالها ..

وأيقن أن شيئا ما يسد الفتحة من أعلى ..

وفي اللحظة التالية لذلك ، سمع هواءا وحشيا ..

واستطاع أن يتبين شيئا ما يُلقى من أعلى .. شيئا ثقيلاً هوى كالحجر ليصطدم بالأرض ..

ثم شيئا آخر .. أما الشيء الثالث فكان يصدر أنينا متوسلاً ..

وسرعان ما هوى إلى أرض الحفرة .. وهمدت حركته ..

لقد انطفأت الشمعة حين هوى فوقها الجسد الأول ..

بعد هذا هوى جسم رابع ليلحق بالأجسام السابقة ..

عجز (نيقوس) عن فهم ما يحدث ..

لكن غريزته ـ الشبيهة بغريزة القطط ـ قالت له ألا يصدر صوتا .. وأن يظل حيث هو دون حراك ..

ثم أحس أن جسما هائلا ينساق داخلاً إلى الحفرة ..

أتيا من الخارج وكان الظلام دامسا لكن (نيقوس) أدرك أن هذا الشيء يفوق كل توقعاته فظاعة ..

وتصلب جسده والتصق بالجدار أكثر ، وحبس أنفاسه ..

وأدرك أن هذا الشيء ينحدر ببطء من الفتحة إلى الجدار المجاور ، بخفة وسلاسة ودون مراعاة لقواعد الجاذبية .. كأنه عنكبوت ضخم ..

عنكبوت ؟

لا .. فهذا الشيء يملك يدين وقدمين كالبشر .. لكن قامته طارعة تقارب الأربعة أمتار ، ورأسه عملاق لا يمت بصلة لرؤوس البشر ..

وفيما بعد وصف (نيقوس) بأنه أقرب إلى رؤوس العنكبوت !

وتسلل ضوء القمر ليرى الصبي الأجسام الملقاة على أرض الغرفة ..

عندئذ أدرك أنها أجساد المراهقين الأربعة الذين رآهم هناك ..

وقد بدا من أوضاع رقابهم ، ومن انثناء أطرافهم أنهم لم يعودوا يمتون بصلة لعالمنا ..

إن هذا الشيء الذي قتلهم يهبط الجدار الآن على بعد أمتار منه .. مصدرا خوارا ولهاثا مريعين ...!

ودس (تيلومن) يده في فمه . وعض عليها بقوة كي يمنع الصرخة التي تريد أن تخرج .. وأحس بدم ساخن يسيل على ذقنه من جراء العضة .. لكنه لم يشعر ألما ..

هوذا الشيء يهبط إلى القاع ..

وفي ضوء القمر الخافت البارد . رأى (تيلومن) يكوم الجثث الأربع فوق ذراعيه ـ جثتين على كل ذراع ـ ثم يمشي متثاقلاً عبر النفق وهو يصدر زئيراً مريعا ..

وبعد لحظات تلاشى الشيء .. وخبت الضوضاء . وعاد الصمت ..

كان هذا أكثر مما يستطيع الصبي أن يحتمله .

وبيد مرتجفة قذف الحبل نحو الفتحة ..

التفت الأشواطة حول طرف صخرة بارز من جدارها .. وبالأيدي الأخرى أحكم ربط الحبل حول الصخرة التي يجلس عليها .

قلبه يوشك أن يتوقف ذعرا ..

لكنه لن يفقد الوعي .. ليس هنا ..

مد يده وتشبث بالحبل .. ودعا الله أن يكون الحبل متماسكا .. فهو لايريد أن يسقط مكدسا في هذا الفضاء الكريه ..

راح يزحف كدودة فوق الحبل .. ممسكا بيديه وساقيه ..

وأخيرا دنا من الفتحة .. لمسها بأنامله ..

فكور جسده ليخرج منها ..

وفي اللحظة التالية كان في العراء .. يشم هواء الليل الأبي عطره القمر .. ويتنفس الصعداء ..

لكنه لم ينتظر أكثر ..

شارع باركض مبتعدا عن هذا المكان الرهيب ..

★ ★ ★

فرغ الصبي من سرد القصة بالتفصيل على مسمعي ، ومسمع العمدة ، ورجل الشرطة .. ثم راح يرتجف ولا أومه على ذلك لحظة ..

قلت وأنا أربت على كتفه :

ـ لا عليك يا بني .. أنت في أمان الآن ..

سألني العمدة عن رأيي فيما حدث .. فقلت :

ـ الأمر واضح .. لقد رأى الصبي (المينوتور) .. كان الغلمان ينتظرون بجوار الحفرة حين فاجأهم الوحش من الخلف .. ولابد أنه غادر الحفرة قبل وصولهم .. كان يبحث عن فريسة ثم يجد .. وحين عاد إلى الحفرة

وجدهم ينتظرون .. فقتلهم .. ثم ألقى بجثتهم إلى البئر .. ريثما يهبط هو لأسفل ويحملهم إلى حيث يفترسهم ..

- يا للهول !

- نعم .. لقد دفع هؤلاء الفتية ثمن قسوتهم غاليا ..

- ونجا (تيلوس) بمعجزة ..

تساءل رئيس الخفر وهو يرسم الصليب :

- ماذا حدثنا فاعلون ؟.. هل نهبط إلى البئر لتفتشه حاملين مشاعلنا ؟

قلت في شرود :

- لا جدوى من ذلك .. فالفتية هلكوا دون شك . ثم إن الهبوط إلى البئر انتحار حقيقي ..

- إذن ماذا ترى ؟

- أرى أن نسد هذه الحفرة أيضا ..

- ولو نبشها عابث آخر ؟

- يجب أن تعرف كل (كنسوس) بالقصة .. يجب أن يعرف كل القوم أن هناك وحشا مريعا يعيش تحت أقدامهم .. وأن ما يفصله عنا هو طبقة الأرض التي نقف فوقها .. إن الأمر لا يحتمل المزاح ..

نهض رئيس الخفر .. ووضع بلدقيته على كتفه :

- سوف آخذ الرجال إلى هناك حالا .. ونسد الحفرة على ضوء المشاعل ..

قال العمدة راضيا :

- حقا تقول .. إن هؤلاء الرجال تأمرون إلى حد أنه لابد من إنهاكهم بحمل ما يستنزف طاقتهم العدوانية ..

وقد كان ..

★ ★ ★

مسرح الأحداث كان رهيبا ..

ولقد وجد الرجال مطمورة (فرانجوليس) الصغيرة .. وأعقاب سجائر عديدة .. وحذاءين .. وبقع دم ..

يبدو أن الصبية كانوا جالسين حتى بعد عشرة أمتار من الحفرة . يدخنون ويتمازحون .. حين وجدوا (الميلوتور) يخرج لهم من وراء الأشجار ..

ولابد أنهم لم يجدوا الوقت الكافي للفرار ..

وعلى ضوء المشاعل راح الرجال يمارسون مهمتهم الحزينة .. يسدون الحفرة كأنهم يهيلون التراب فوق قبر الفتيان الأربعة ..

وحين انتهوا رحلت المجموعة الحزينة في صمت ..

بقعة من نور تغيب تدريجيا في قلب الظلام ..

★ ★ ★

- عمت مساء يا (هيلين) ..

- مساء ..!

قالتها ، ودست إبرة الحياكة في أنتها تزيل هكة ما ..

جلست على الأريكة العتيقة بجوار الفراش ، ورحت شارد الذهن أجتر أحداث النهار الرهيب ، والأمسية الأكثر رهبة ..

- أمازالت الطفلة نائمة ؟

قالت في فتور دون أن تنظر إلىّ :

- إنها الثالثة بعد منتصف الليل ..

وابتسمت في مرارة .. وأردفت :

- إنك تزيد ساعات غيابك ساعة كل يوم .. وهأنذا قد صرت جزءاً من هذا المنقد ..

لم أرد لي أجادل أكثر .. فأشعلت غليونى وأرحت ساقىّ على مقعد خشبى صغير .. بعد دقائق قلت :

- صدقيني .. إنني لا أنهو ولا أعاقر الشراب في الحانة .. إن العمل يمتصنى إلى حد لا يصدق .. وهذه الأيام بالذات توجد ...

- ومنذ متى لم يمتصك العمل ؟!

صاحت كمن توشك على البكاء .. وأردفت وهي تلقى ما تحوكه على الفراش عند قدمى الطفلة القاتية :

- منذ تزوجنا وأنا لا أشكل في حياتك سوى ركن صغير جداً .. تتذكره كلما عدت تدارك منهكا .. أنت تعود لي لمجرد أنك لا تجد مكاناً آخر تقضى فيه الليل .. سيان عندك غسلت قميصك أم لم أغسلها .. طهوت أو لم أطه .. نمت أو صحوت ..

والتمست عيناها بغشاوة رقيقة من دموع :

- في البدء كففت عن منحى ما أريد من حبك .. والآن كففت عن طلب أى شيء مني .. ولو كان غسيل جورب متسخ .. حينما تزوجتك يا (ديمتريوس) - برغم فارق السن - قلتت أني سأجد فيك حنان الآباء وحكمة الفلاسفة وذكاء العلماء .. أما اليوم ...

وابتلعت ريقها :

- .. فلا أجد فيك أى شيء على الإطلاق ..

ودون كلمة أخرى نهضت مسرعة ، وفتحت باب الغرفة .. خارجة إلى الممشى .. هرعت لتقف عند النافذة التي في نهايته ترمق الليل المظلم الصامت بالخارج ..

جلست أنا أرمق (ميليسا) الغافية كالملائكة ..

لماذا يموت الحب يا ملاكي الصغير ؟ لماذا تخبو تلك الجمرة المقدسة لتصير رماداً يرغم لهيبها الذي أحرقنا يوماً ؟ متى وكيف كففت عن الاهتمام بـ (هيلين) ؟

رجل في سني وفي صحتي وفي صحتي كان - لابد - أسعد الناس بزوجة شابة حسناء مطيعة كهذه .. لكني لست سعيداً ولا حزيناً .. بل أن لا أالاحظ وجودها على الإطلاق كما قالت هي ..

وكما قالت هي .. يبدأ فقدان الحب بأن نكف عن العطاء .. بعدها نكف عن الأخذ .

لقد وهبت حياتي كلها لعملي فلم أعد أرى سواه ..

والكارثة هي أنني لم أحقق شيئاً على الإطلاق ..

وحتى (الملايين) التي ظفرت به أسفر عن كارثة .. كارثة يستحيل الإفادة منها بحال ..

حتى إنني ...

إنها تصرخ !..

(هيلين) تصرخ صرخة مروعة كأنما هناك من ينتزع أحشاءها ..

هرعت كالمسوع خارجاً من الغرفة لأنقذها ..

فإذا بها تصطدم بي - وهي عائدة إلى الغرفة بدورها ..

وارتمت في أحضاني تنتحب ، وترتجف .. وهي في حالة هستيرية غير مسبوقة .. ومن فمها تخرج أشلاء كلمات ..

هرعت كالمسوع خارجاً من الغرفة لأنقذها ..

أخيرًا أفهم كلماتها :

- إنه .. خلف النافذة !

- من ؟.. من هو ؟!

- لا .. لا أدرى ..

ثم ضاقت عيناها .. وهمست .

- كان يرمقنى من وراء الزجاج .. رأس كرأس ثور !.

.....

* * *

٩ - يجب أن ننزل التيه ..

- مستحيل يا (هيلين) .. يوجد شىء واحد يحمل هذا الوصف ، وهو الآن حبيس التيه تحت الأرض ..

- لكنى أقسم إننى رأيته ..

وكان خمسة من ساكنى الخان قد التفوا حولنا ... ورأيت (باسيليوس) يخلل شعره الداخلية بقلم معدنى ببندقية .. و (ديمتريوس) بعناية مزركشة وقد بدت عليه علامات النعاس ..

ثم ظهر صاحب الخان (بقى) حاملاً ببندقية أخرى :

- ألن تنتهى هذه الليلة اللعينة ؟

قلت له وأنا أطوق زوجتى بذراعى :

- إنها تقسم أنها رأت (المينوتور) يرمقها من وراء الزجاج ..

- مستحيل .. إنه سجين الآن !

- هذا ما قلته ..

- وهل زوجتك تعرف القصة ؟

www.tilas.com

- لا ..!

استدار نحو الواقفين ، وهتف كأنه يقود أغنامًا ضالة إلى راعيها :

- هيا يا (جدعان) .. لا داعي للتوتر .. لقد رأت السيدة كابوسًا ..

وتفرق الجمع ..

كدت أعود مع (هيلين) إلى غرفتنا .. لكن الرجل ناداني ، فدنوت منه .. وإذا به يقرب فمه من أذني هامسًا :

- أترانا أغلقنا الفتحة بينما الوحش خارجها ؟!

* * *

كان تساؤلاً في محله ..

وفي الصباح حين عرفت أن أحد رجال الخفر قد اختفى ، تاركًا بندقيته مهشمة إلى نصفين .. عندئذ فهمت مدى أهمية السؤال .. وعرفنا أن (المينوتور) حرّ طليق في (كنسوس) .. وعاجز عن العودة إلى التيه ..

ولقد قضينا النهار كله نمشط المنطقة دون جدوى .. بحثنا في المرتفعات .. وفي مخزن الغلال .. والطاحونة .. والكنيسة المهجورة .. لكن سُدى ..

وفي النهاية عدنا إلى موقع الحفر الأول .. وكان ذلك عصرًا .. فعرفنا أن هذا من حفر المكان مستعملاً الصخور الحادة ومخاليب .. وجرف طبقات الغبار والأسمنت .. ثم انتزع الحديد الذي غطوا به الفتحة ..

لم نحتج لذكاء كثير كي نعرف من الفاعل ..

لقد عاد الوحش إلى بيته من جديد ..

وأمام الفتحة تساءل (ستافروس) في حيرة :

- هل سنسد هذه أيضًا ؟ إن هذا الوحش يلعب الشطرنج معنا ..

قال صاحب الخان وهو ينحني ليتفحص فتحة البئر :

- ربما لو سددناها .. يتضح لنا أنه غادرها منذ دقائق ..!

قال (باسيليوس) للمرة الأولى بعدما استعاد ثقته بنفسه :

- ولو لم نسدها .. نكون قد تركنا باب الجحيم مواربًا ..

- إذن الحل هو نزول البئر !

والتقت عدة عيون متسائلة فوق وجه الرجل .. حتى لم يعد فوق وجهه مكان لعين أخرى !..

وتساءل (ستافروس) في حيرة :

www.liilas.com

ـ لكن هذا انتحار حقيقي ..

قلت أنا وقد رقت لي الفكرة :

ـ بالعكس .. أرى أن هذا هو الحل الأمثل بدلاً من لعب لعبة الحظ هذه مع (الميتوتور) ..

ثم إنني رفعت يدي صائحاً :

ـ سأكون أنا الأول يا رفاق .. ولسوف أهبط إلى الوحش في عقر داره .. لكني لن أستطيع شيئاً وحدي ..

رفع صاحب الخان يده هو الآخر :

ـ أنا معك .. فلو أن هذا الشيء قتل (إيزيبيا) ...

ـ لا بأس .. وأنت يا (ستافروس) ؟

نظر لي (ستافروس) في ارتياح .. ثم هز رأسه موافقاً ..

ـ وماذا عنك يا (باسيلوس) ؟

بدا الشرود للحظة على وجه (باسيلوس) القسيم .. ونظر لي ثم إلى (يانّي) صاحب الحانة .. وغمغم بعد هنيهة :

ـ لا .. لن أتي معكم !

نظر الرجال إليه في ازدراء .. وصدم أحدهم شيئاً ما عن الرأس الجميل انتقلني من الشجاعة ... وإن كنت

أختلف معهم في هذا .. فالشعور العام الجارف هنا هو النزول إلى التيه .. وليس من الشجاعة في هذه اللحظة أن نقول (سنَنزل) .. بل الشجاعة أن نقول (لن أنزل) !..

إن احتمالات فتك (الميتوتور) بك تحتمل المناقشة .. أما احتمالات فتك الرجال الثلاثين بك فقوية جداً ..

قلت محاولاً تلطيف الجو :

ـ لا بأس .. لن يكون هناك أي إرغام ..

ثم ناظراً نحو هشد الرجال :

ـ هل من آخر ؟

رفع (ميكوس) العجوز حارس الدرك يده .. وسعل .. ثم قال :

ـ وأنا معكم ..!

ـ أأنت يا (ميكوس) ؟ إن لك شأناً غير هذا .. ولا أظن صحتك تتحمل أن ...

قال وهو يلتفّ لفافة تبغ ويعلق طرفها بشفته ليلصقه :

ـ في سنّي هذا يسهل أن يجدوني ميتاً في الصباح .. إما بسبب نوبة قلبية أو أزمة ربوية أو نزف في الدماغ .. لن يكون هناك فارق كبير لو وجدوني ميتاً بسبب (الميتوتور) ..

عدت أرمق الرجال باحثا عن متطوع جديد ..

لكنهم تحاشوا نظراتي ..

وعرفت أن ثورة الحماس قد انتهت . وعاد الذعر المتوجس .. وأن كل واحد منهم يتمنى لو لم أنظر إليه متسائلاً .. من ثم وقرت عليهم هذا العناء ، وقلت في حزم :

ـ هذا يكفي يا رجال .. سنكون أربعة .. ولحسب هذا كافيًا ..

ثم نظرت نحو (ستافروس) وطلبت منه أن يعد لنا :

١ ـ عدة مشاقات بحالة جيدة .

٢ ـ بعض أطعمة ومشروبات .

٣ ـ بنادق لنا جميعًا ، وبعض أصابع الديناميت .

٤ ـ طبشور وحبال وبوصلة .

ثم فارقتهم لأودع زوجتي .. على أن نبدأ التحرك خلال ربع إلى نصف ساعة .

وفي غرفتي شرعت أعد حقيبتي .. ورفعت (ميليسا) إلى فراشي ، ولثمت خدها الشبيه بثمرتي خوخ ناضجتين ..

هتفت (هيلين) وهي ترقب ما يحدث :

ـ إذن أنت ...؟

ـ بالتأكيد .. أنا ذاهب لقتل (المينوتور) ومعي رجال أشداء ..

ـ أي رجال أشداء ؟

ـ أنا .. و(ستافروس) و (ياني) و (ميكوس) العجوز ..!

ـ يا لهم من أبطال !.. أنت هزيل كسحلية .. و (ستافروس) متراخ كبغرة .. و (ياني) بدين كخنزير .. و (ميكوس) .. هه ؟.. ماذا أقول عنه ؟.. سلحفاة !

قلت وأنا أضع اللفافة على الفراش :

ـ (هيلين) .. لا تعقدي الأمور .. أرجوك ..

ـ أنا أحبك يا (ديمتريوس) .. ولو فقدتك .. أخشى أن أفرحك يومًا لهذا ..

أخيرًا أسمع هذا الاعتراف الرقيق الذي منعها الكبرياء من الإدلاء به طيلة عامين أو أكثر .. ولئن كان (المينوتور) سينهي حياتي ، فإنه على الأقل قد أعادها لي أولاً ..

قربت وجهها من وجهي .. وكانت دمعتان على مقلتيها ..

وهنا دق الباب فى قباسة ..

ذهبت لأفتحه . فوجدت (بانسيلوس) واقفا فى الردهة متحاشيا نظراتى .. وفى فتور قال دون تعبير على وجهه :

ـ أنا آت معكم يا بروفسور ..

★ ★ ★

قلت له فى مودة وأنا أربت على ظهره :

ـ لا بأس يا بنى .. كنت أعرف ..

قال بنفس اللهجة الصارمة :

ـ لم أرد أن أنزل النبه ، لأجد الوغد صاحب الخان معى فى الظلام .. إن رأسه مليء بالشكوك ولا أدرى ماذا يفعله إذا ما انفرد بى ..

ثم ـ بنفس التعبير ـ غمغم :

ـ أعتقد أن ابنته كانت ذاهبة لتتنحر .. تكن (الميلوتور) سبقها ..

ـ إذن أنت ترهب أيامه لا الوحش ..

ـ بالتأكيد ..

ـ حسن .. أسرع بإعداد حقيبة .. حقيبة ظهر صغيرة الحجم ، وخذ بندقية من (ستافروس) لأننا سنتحرك حالا ..

ـ ليكن ...

وللمرة الأخيرة اعتصرت كف زوجتى فى يدى ، واستدرت حاملا الحقيبة على ظهرى .. واتجهت إلى الباب ..

وبدأت الحملة ، ويا لها من شىء مثير للشفقة ..!

★ ★ ★

الآن نترك الحفرة حاملين كل ما أخبرتك به ..

سعال (ميكروس) العجوز .. واصطكاك أسنان (ستافروس) .. ولهاث (بنى) البدين .. ورجفة ساقى أنا ..

كل هذا يقول لى إن حملتنا لن تكون موفقة إلى هذا الحد ..

ووصلنا إلى القاع .. فأمرت الرجل الذى يقف برقيتا أن يرفع الحبل ، ويوصد الفتحة جيدا ..

تساءل (ستافروس) فى فزع :

ـ ولماذا يا بروفسور ؟

ـ لا أريد لهذا الشىء أن يغادر النبه بينما نحن نبحث عنه بالداخل ..

ـ قد نختنق ..

(٨ ـ ما وراء الطبيعة ـ المجلد ٥ الجزء ٩٢)

- لا أظن .. إن (الميلوثور) وحش ، لكنه يحتاج الهواء مثلنا .. وأظن هذا الشيء يحوي كمية هائلة من الهواء ..

ورأينا الفتحة توصد فوقنا ..

وشعرنا بأن القرب الذي يهيمنه الرجل ، إنما هو يتهدل فوق قبورنا ويخنق أرواحنا .. الظلام يغمر كل شيء ..

وأضاء (باسيلوس) كشافه الكهربي المتصل ببطارية سيارة ، ليعطيه حياة أطول .. وراح يمسح الجدران بها ..

وعند أقدامنا كانت العظام مكدسة .. عظام ضحايا (الميلوتور) من شباب (أثينا) .. لو عظام جسدي مثلنا ظنوا أنهم على قيد قادرون ..

انحنى (ستافروس) ليلتقط عظمة ساعد من على الأرض .. وقال :

- هذه العظمة جديدة ..

- ماذا تعني ؟ - قلت في سأم - إنها من عظام الـ.. الفتاة ..

أشار إلى موضع لم يتم الالتهام فيه من العظمة .. وهمهم :

- إنها عظمة ذكر تم يبلغ الثامنة عشرة بعد .. أو أنثى تم تبلغ السادسة عشرة بعد .. هناهو ذا موضع الالتحام لم يتكلس بعد .. إنها عظمة واحد من المراهقين الذين مكروا بـ (ليقوس) أمس ..!

- هذا ليس بهيجا على الإطلاق ..

ثم نظرت إلى الرجال الأربعة الذين أشبههم ضوء الكشاف ، سمتا شيطانيًا .. أنت تعرف تأثير هذا الضوء القادم من أسفل .. وقلت في كياسة :

- من سيكون قائدنا ؟ لابد لنا من قائد ..

- هل هذا سؤال ؟ أنت طبعا ..

- إذن أطالبكم بطاعة عمياء .. ليس الوقت وقت إظهار رجاحة عقلكم ، ولا إثبات غبائي .. ما أقول سينفذ !

- لك هذا ...

ناولت كلاً منهم كشافا ، وبندقية ، وقطعة طبشور .. سيقوم كل منهم باستكشاف مجموعة ممرات .. ويده على زناد البندقية بينما الكشاف تحت إبطه ..

وكلما استكشف أحدهم ممرًا رسم أسهما تدله على الاتجاه الصائب .. لا نريد أن يموت أحد لمجرد أنه ضلّ

طريقه .. وعلى من يجد شيئا مريبا ، أو يوشك كتفاه على الانطفاء ، أو تنقد قطعة الطبشور منه .. أن يعود أدراجه إلى هذه النقطة مسترشدا بأسهمه ..

تساءل (باسيلوس) واجما :

- وكيف نخرج من البئر بعد انتهاء كل هذا ؟

- إن معي مسامير ومطرقة .. يمكننا تسلق الجدار كما نتسلق جبلاً .. ونفتح الغطاء دون جهد ..

ثم أشرت لهم :

- (يونى) .. ستأخذ النفق الأيمن .. وأنا الأيسر .. (ستافروس) يأخذ امتداد النفق إلى الخلف .. ومعه يمضي (باسيلوس) و (ميكوس) على أن ينفصلا إذا وجدا تفرعا .. وسوف نلتقي هاهنا بعد ست ساعات سواء وجدنا الوحش أو لم نجده ..

في ضيق غمغم (باسيلوس) :

- لا أحب هذا .. إن اتحادنا لقوة .. أما الآن فسيفتك الوحش بكل منا منفصلاً ...

بحزم صرخت في وجهه :

- أما الآن - وقد قبلت قيادتي - فقد أغلق باب المناقشة .. نفذ ..!

وفي تردد بدأ الرجال مسيرتهم المتوجسة ..

لم يكن قراري عن ديكتاتورية .. بل أردت أولا أن أوفر الوقت اللازم لاستكشاف هذا التيه .. ثانيا : أردت أن أقلل عدد الموتى لأن الوحش سينقض فجأة .. وفي الغالب لن نستوعب وجوده قبل أن يفتك بثلاثة منا .. ومشيا مجتمعين يجعل الأمر بالنسبة له أقرب إلى قدم تهوي فوق سرب نمل .. أما تفرقنا فيجعله يفتك بواحد .. ثم يبحث عن الآخرين الذين قد يكونون سمعوا صراخا أو جلبة تجعلهم أكثر تيقظا ..

* * *

منحوتة من : (رفعت اسماعيل) :

إنه الليل .. وأنا لم أنم بعد ، إذ استغرقت في ترجمة هذه الرسالة بخطها المجهري اللعين .. لذا أتركم الآن لأنام .. وسأعود لأستكمل القصة في الغد ..

فإلى لقاء ..

* * *

١٠ ـ مواجهة فى (اللابيرنث) ..

صباح الخير ..

(رافعت إسماعيل) قد صحا من النوم . وأعد لنفسه بعض البرش المسلوق وكوب شاى .. وجلس يتناهم كل هذا ..

إنها الواحدة ظهراً .. أعرف هذا .. لأننى سهرت ظهراً ـ تعاشق ـ ليلة أمس مع الآخ (كوبر السوس) وقيوه ..

على كل حال .. فى سن المعاش لا يعود النوم حلى لظهر جريمة يعاقب عليها القانون .. أو تؤدى فى رقتك وجوع أطفالك وطلاقك ..

دعونا الآن نستكمل هذه الأحداث ..

أين كنت ؟ ما هى آخر عبارة ترجمتها ؟ (هذه العظمة جديدة) ؟

لا .. لا .. (تجعلهم أكثر تيقظاً ..) ؟.. هذه هى .. إذن فلنواصل السرد ..

* * *

رسمت سهماً بالطبشور على الجدار .. ثم بدأت أمشى عبر الممر الأيسر .. بقعة من الضوء تدنس حرمة ظلمات دامت قروناً ..

من جديد أشعر بأن الجدران تعذبنى . وأنها تحاول فهم من أكون ..

بينما وقع خطواتى على الأرض غير المرحبة يصارعنى كم أنا وحيد ..

وكم أنا فى خطر ..

أرسم سهماً آخر .. ثم آخذ الحقائبة يمنى ..

لم أحاول يوماً أن أتخيل شعور الخرزة البيضاء فى المتاهة التى يتيه بها الأطفال .. إن الأمر يبدو سهلاً حين نراقبه من أعلى .. عندئذ نفهم مدى وضوح الأمر ، ومدى تخبط الخرزة وقراراتها الخاطئة على الدوام ...

ما أمس حاجتى إلى أن أعلو .. أعلو لأرى هذه المتاهة من المنظور الذى يسميه المهندسون (عين الطائر) ..

لو ارتفعت أكثر لرأيت المتاهة أوضح .. ولو ارتفعت أكثر لرأيت الكرة الأرضية أوضح ..

كأن العلو يرتبط بالحكمة .. ويرتبط بوضوح الرؤية ..

لهذا لن يدهشنى لو أن الملائكة تعرف عنا كل شىء ..

ونبدو نحن - نحن البشر - كائنات متخبطة تحبو على
في متاهة .. عاجزة عن رؤية الطريق المديد ..
غبا نشرود ذهني .. ليس الوقت مناسبا بحال ..
علامة أخرى بالطبشور ...
لابد أنني قد توغلت كثيرا لأنني أمشي منذ ربع
ساعة ..

★ ★ ★

هل مشت قدما (تيذيوس) فوق هذه الأحجار يوما ؟
لا أدري .. لكن هذه الأحجار لامست بالتأكيد قدمي
مئات من فتيان وفتيات (أثينا) .. أقدام بضة خائفة ..
وأقدام عضلية متوجسة دامت هنا قبلي ..
وكلهم رأى (المينوتور) في اللحظات الأخيرة ..
ثم اختلف عنهم جميعا إذ أحمل قطعة (طبشور)
وكشافا ويدقية ..

★ ★ ★

ولكن هل يمكن لوحش أن يعيش ثلاثين قرنا ؟
علامة أخرى بالطبشور ..
لم لا ؟.. إننا لم نر وحوشا كثيرة تجمع ما بين الثور
والإنسان .. ولا يوجد ما يمنع من اجتماع غريبة المظهر

مع غريبة دورة الحياة .. ولا مانع من أن تصحب التشريح
الغريب وظائف أعضاء أغرب .. فإذا كانت بعض السلاحف
تعيش قرونا .. وبعض الذباب يعيش يوما .. فأي شيء
نعرفه ؟.. وما هي القاعدة ؟
إننا نجهل كل شيء عن أي شيء ..

★ ★ ★

ولكن .. ماذا يفعل الآخرون الآن ؟

★ ★ ★

أرى .. أرى بعين الخيال (باسيلوس) يقف ممرتبه ..
وقد قرر قتله ليريح نفسه بالتأكيد .. ولسان حاله يقول :
(هذا المينوتور لا يليق بي) ..
وأراه يشعل لفافة تبغ .. ثم ينظر لساعته ..
فيما بعد عرفت أن (باسي) صاحب الخان اختار عدة
ممرات .. راسما علامة الطبشور إياها ..
وفجأة وجد نفسه في ممر .. يقف في منتصفه شخص
منحن يشعل لفافة تبغ .. وعرف أنه (باسيلوس) ..
لقد تلاقت الممرات !
وتقلصت قبضته على اليدقية ...
تذكر (ايزيدا) .. رآها تسير في جنح الظلام دامعة
العينين كسيرة الفؤاد . بعد ما تسلى أحد الأوغاد بقلبها ..

الثقب الذى لم يمنح لأحد من قبل .. لقاده (بسيلوس) ثم أقاد كما يقفى بعود الثقاب الآن ..

وهناك سارت .. وكان (المينوتور) ينتظرها ...

وفى عنوء رفع فوهة البندقية وصوبها نحو مؤخرة رأس الشيطان القادم من (أثينا) .. لا شهود هناك ..

ولن هناك كلاهما فلن يعرف أحد بما حدث .. ولن عاش (ياسى) فقد لقضى لتيه أو المينوتور على (الأثينى) الوسيم ..

ضغطة واحدة من أجل (إيزيبيا) .. وأحدة فقط ..

★ ★ ★

(ستافروس) كان يدين لحنا حزينا ...

ولقد تساءل مرارا عن جدوى كل هذا .. عن جدوى الحياة أصلا .. لقد ماتت (إيزيبيا) ولن يجديها الانتقام من المينوتور الأصلى الذى افترسها .. ولا من المينوتور الآدمى الذى حطم أحلامها ..

ربما واحد فقط يستحق الموت هو (ستافروس) .. الذى لم يستطع أن يدافع عن حبه ..

علامة طيشور أخرى ...

★ ★ ★

ارتجفت يد (ياسى) على الزناد ..

وسمع (باسيلوس) يقول دون أن يدير له ظهره :

ـ هيا .. لم لا تفعل ؟!

فى عنوء أنزل (ياسى) فوهة البندقية .. وغمغم :

ـ لا أستطيع !

ـ ولم لا ؟

ـ لا أدرى .. ولكنك لو قتلتك ألف مرة .. لكننى لا أستطيع ..

استدار (باسيلوس) فى بطء ، وبقاقة التبغ تتدلى من شفتيه .. وغمغم وهو يضع بندقيته أرضا :

ـ أنت لم تقتل رجلا من ظهره من قبل ..

ـ لم أقتل أى رجل .. لا من ظهره ولا من وجهه ..

ـ إذن ...

وقبل أن يكمل عبارته ، أحس الرجلان أن السقف ينهار فوقهما ..

أما (ياسى) فتذكر على الفور مغامرة (نيقوس) .. وتذكر أن (المينوتور) يمشى على السقف والجدران كسحلية ..

وقبل أن يفهم ما يحدث .. رأى عملاقاً هائلاً مغطى بالشعر يقف أمامهما ..

إن كان الشيء فوق رأسيهما طيلة الوقت ...!

وقبل أن يفهم ما يحدث .. رأى عملاقاً هائلاً مغطى بالشعر يقف أمامهما .. ارتفاعه أربعة أمتار .. ورأسه رأس ثور غاضب .. وذراعاه تكادان تنفجران من العضلات المتراصة ..

قال (ياسيلوس) شيئاً ما قبل أن يقبض رأسه بين فكي الثور المعلق ..

ورأى (يانى) - غير مصدق - الوحش يطوح جسد (ياسيلوس) المعلق بين فكيه ، يميناً ويساراً .. ويميناً ويساراً .. حتى أحس (يانى) أن فقرات عنقه هو نفسه تكاد تنفصل ..

وأطبقت العضلات المهولة على الجسد ، لكي يكف عن المقاومة الاحتضار الأخيرة ..

ولم ينتظر (يانى) حتى يعرف نهاية المشهد .. إذ حمل المشاعل في يده وراح يركض عبر الممرات ، وقلبه يكاد يثب إلى فمه ..

القرار ...!.. القرار !.. عرشه العملاق يترجرج .. يذوقه هوت أرضاً .. يركض عبر ممرات لم يضع علامة المشعور عليها ..

وكان في هذا قرار إعدامه .. حتى لو فر من الوحش ..

* * *

بعد ربع ساعة وجد (ستافروس) جثة (ميكوس) العجوز .. لقد هشمها الوحش بضربها في الجدار مرارا ..

وكانت هناك طلقتان ثقبتا الجدار .. وبندقية مهشمة .. وكشاف ديس بقدمين لا تعرفان التعقل ..

وعلى الأرض كانت هناك قطرات دم .. دم أسود تتجه إلى نهاية الممر ..

إذن أطلق العجوز بندقيته ، وجرح الوحش ..

تأكد (ستافروس) من حشو سلاحه .. وأخذ شهيقا عميقا ثم راح يمشي بحذر متتبعا قطرات الدم ..

كان هناك ممر جانبي في نهاية هذا الممر ..

وتصلب جسده إذ أدرك أنه يسمع صوت خطوات ..!

تراه أحدهم ؟.. لا .. إنه لا يرى ضوءا .. فما الشيء الذي يقدر على السير في هذا الظلام الثقيل ؟

صوت الخطوات يدنو أكثر فأكثر من الممر الجانبي ..

ركع على ركبته وأحكم التصويب .. يعلم الله وحده كيف سيبدو الشيء .. لكنه سيصوب على العينين لو كانت له عينان ..

يعلم الله وحده أي كابوس سيملأ هذا الفراغ بعد ثوان ..

إصبعه يتقلص على الزناد ..

الخطوات تدنو أكثر ... و ...

في اللحظة التالية وجدت أمامي (ستافروس) يصوب البندقية نحوي .. وكنت أنا مستعدا لضغط الزناد ..

وتنفس كلانا الصعداء ..

ـ حسبتك هو !

ـ وأنا كذلك ..!

ـ لماذا تمشي في الظلام ؟

ـ انقطع سلك من سلوك الكشاف ، ولم أستطع ربطه ..

ـ إذن من حسن حظك أني هنا .. سنسير معا من الآن فصاعدا ..

ثم إنه أشار إلى الأرض حيث قطرات الدم .. وقال :

ـ هناك (ميكوس) .. ولكنه جرح الوحش .. وان أثره لواضح ..

ـ إذن هيا بنا ...

لم أطلق على موت العجوز ..

فما دمنا لسنا في نزهة ، فالموقف لا يحتمل ترف الرثاء لأحد ..

فيما بعد يمكننا أن نلقي الزهور والخطب على قبور قتلانا .. إنها حرب .. وفي الحرب لا تعرف ما إذا كنت حيًا أم ميتًا إلا حين يبدأ رجال الخدمات الطبية في حصر الجثث .. أما الآن فما زال الأمل قائمًا في أن يرثينا الناس هذا ..

مضينا نقتفي آثار الدم ، غير ناسين وضع علامات الطبشور هنا وهناك ..

وأخيرًا كان هناك معي جانبي سمعنا صوت الخوار قادمًا منه .. نحن لا نطارد (المينوتور) .. هو الذي يطاردنا ..

والآن عليك بـ (ستاكروس) أن تنهيا بإطلاق الرصاص .. وأنا معك في اللحظة ذاتها ..

ستطلق الرصاص على القلب .. وأنا على العينين .. بعد هذا تطلق الرصاص على البطن .. وأنا على العنق .. وبعد هذا ..

لا داعي للمزيد من التخطيط .. ولترتجل وفق اللزوم ..

أرجوك ارسم بعض الرعب أو التوتر على وجهك .. سئمت هذا التعبير الكسول المستمر الذي المنفصل عن العالم ..

الخطوات تقترب .. تقترب .. والغشاء مسلط على الممر ..

في الثانية التالية شعرت بشيء مريع يرفعني في الهواء .. ووجدت نفسي أطير لأرتطم بالجدار ..

لقد جاء من الخلف .. كيف ؟

إن الصدى اللعين جعل صوت خطواته يبدو قادمًا من أمامنا .. أضف لذلك أن تركيزنا وكشافنا كانا مسلطين على الاتجاه الخطأ ..

إن هذا الوغد لا يضل طريقه أبدًا ..

وفي هلع رأيت وجه الثور المرعب الخالي من التعبير .. ثور له أنياب حادة كالخناجر .. والجسد العملاق المكسو بالشعر يقف على قدمين مخلبيتين قويتين ويزأر .. وكان قادمًا نحوي ..

ويطرف عيني رأيت (ستاكروس) يهرع على ركبتيه ليأخذ من حقيبته شيئًا ما ..

لماذا لا تطلق الرصاص يا أحمق !.. لماذا لا ...؟

وفجأة رأيته يصرخ في الوحش .. ثم يهرع ليسكب فوقه سائلاً ما في (جركن) بلاستيكي كبير .. قذفه في وجهه ، فأصدر الوحش زئيرًا أو خوارًا - لا أدري حقًا - واستدار له ...

- بروفسور !.. علبة ثقابك !.. بنزين !

فهمت على الفور مرماه ..

لم أكن أعرف أنه يحمل بنزينا معه .. وعلى الفور مددت يدى لأخرج علبة الثقاب . وحشرت عودين فيها ثم حشرت الثالث بينهما وأشعلت الرابع .. تلك الطريقة التى كنا نلهو بها فى طفولتنا . ويشد الكبار آذاننا لمنعنا من اللهو بها .. أسلوب ثائفة السهام المشتعلة التى تحدث الكوارث ...

أشعلت العود الثالث المحشور ، وصوبته نحو ظهر (المينوتور) .. فانطلق كالقذيفة ليضرب ظهره .. و ..

فهم !..

اشتعل البنزين فى ربع ثانية ..

ورأيت الشىء يلتوى .. ويصدر هديرا مريعا ..

وإذ دار نصف دورة رأيت ثقبين فى جدار صدره من رصاصتى (ميكوس) ..

لحظات من الرعب .. ثم هوى أرضا .. وتلوى قليلا ..

وهمدت حركته ...

نهضت من سقطتى ، وحملت حقيبتى وبندقيتى .. وهرعت ألحق بـ (ستافروس) .. ورائحة الحريق تزكم أنفينا ..

ورحنا نركض عبر الأنفاق مذعورين يقتلنا الهلع - لكننا - برغم هذا - نشعر بلذة الخلاص -

أخيرا توقفنا جوار أحد الجدران التى رسمت عليها أسهم طبشورية بيضاء بيدى أو بيده أو بيد أحدنا ..

ورحنا نلهث ..

ونظرت إلى (ستافروس) وابتسمت ..

وهذا يبتسم هو ..

* * *

www.ahlealmontada.com

أنتيكليماكس ..

ملحوظة من د . (رفعت إسماعيل) :

يمكن ترجمة (الأنتيكليماكس) بالقمة المضادة أو عكس الذروة . وهي تعبير يصف به كتاب الدراما أن تصل الأحداث إلى ذروتها - وهي ذروة صالحة لانتهاء القصة تماما - وفجأة تأتي ذروة أخرى قد تضعف السياق غالبا ..

على كل حال .. المشكلة مشكلة الأخ (كوبرانوس) لا مشكلتي ..

وها هوذا ينتقل إلى ما يسمى الـ (أنتيكليماكس) .. عندما ...

* * *

وشرعنا نجد السير عبر الأنفاق ماشين مع أسهمنا ..

ورحنا نتكلم للمرة الأولى بعد ربع ساعة من صمت :

- كانت فكرة جيدة أن تحضر البازين معك ..

- وفكرة أجود أن نقذف الثقب بأسلوب انطلاع هذا ..

- كان لابد من وسيلة لإشعال البازين دون أن أقترب .. وإلا صرت قطعة فحم أنا الآخر ..

- لا بأس .. اليوم فقط أثبتنا أن (ثيزيوس) لم يقتل (المينوتور) .. لقد اضطر أهل (كريت) إلى دفن الثيه بأكمله ليتمكنوا من الحياة ..

- .. وظل الوحش في حالة سبات طيلة هذه الأعوام حتى أيقظناه نحن ..

وهنا توقفت .. إذ سمعت صوت خطوات تقترب ..

ونظرت نظرة ذات معنى إلى (ستافروس) ..

فرأيت وجهه الخامل يبتسم ..

ورأيت هالة من نور تدنو منا عبر منحنى النفق ..

ثم ظهر وجه (باتي) الدهني الضخم . وعيناه توشكان أن تخرجا من محجريهما ..

فما إن رآنا حتى صاح في هلع :

- حمدا لله !.. أنتما حيان ؟

- وظافران .. ولكن أين (باسيفوس) ؟

- هناك .. انتزع الوحش عنقه .. وأين (ميكونس) ؟

- تهشم أنف قطعة .. لكنه - للحق - مات كبطل إغريقي ..

واقترشتا الأرض ، ورحنا نتحدث .. ونتبادل سرد ما حدث بالتفصيل .. ولقد هنأنا (بانى) على قتل (المينوتور) .. لأنه ...

- لا أصدق أن وحشا كهذا يمكن أن يموت ..

- وكذلك نحن ..

كان (ستافروس) جالسا يعبث فى حقيبته ، ويتأمل الجدران .. ثم قال لى بطريقته الوديعة :

- هلا ناولتنى القناب يا بروفسور ؟

- هل ستدخن أول لفافة تبغ فى حياتك ؟

- بل سأتظلف أنا ؟

ناولته القناب .. وتركته يتأمل ، وعدت أقول لـ (بانى) :

- أراهن على أن مصرع (باسيفاى) كان رد اعتبار لك .

قال وهو يمسح عينيه فى تعب :

- حقا .. لكنى - صدقنى - لم أحب ما رأيته .. لقد استحق القتى أن يموت على كل حال .. ولا أقال هناك من ندم على فقده .. لقد قتل الوحش من تسبب فى موت ابنتى .. وقتل (ستافروس) قاتل ابنتى نفسه .. أرى فى هذا عدلا صارما مجيدا ..

- إننى أرى ...

فى اللحظة التالية وثب (المينوتور) علينا من ركن النفق ..!

كان يخور كبركان .. وقد قرد ذراعيه إلى جانبيه .. والزبد يسيل أنهارا من شدقيه .. وقد احترق أكثر جسده وشعره .. وفاحت رائحة اللحم المحترق منه ..

وهنا صرخ (ستافروس) وهو يلقى شيئا ما جوار الوحش :

- بروفسور .. (بانى) ...!.. ابتعدا ..!

- ولكن ...

- بحق السماء أسرعا !

وعندئذ رأيت ما رماه جوار قدمى المينوتور .. كان هذا إصبعا من الديناميت المشتعل ..

لقد كان هذا هو ما يبحث عنه فى حقيبته .. ولأجله طلب القناب !

لقد كان يسمع خطى الوحش طيلة الوقت لكنه لم يخبرنا ..

وهو ذا يثب فوق ظهر الوحش متشبثا بخصره ..

www.liilas.com

متشبثا بخصر هذا البركان الثائر - محاولا أن يرغمه على البقاء جوار الإصبع المشتعل ..

وجريا كما لو (ياتى) .. فلم يعد يرسفنا عمل شيء ..

جريا كما لم نجر في حياتنا ..

ودوّى صوت الانفجار ..

واهتز التنين مرارا .. لكنه لم ينهر كما توقعت ..

الدخان يلفع المكان ..

وتحن للهث طلبا للهواء .. لكننا نجونا ..

* * *

وقال (ياتى) وهو يثبت الوتد الأول في الجدار :

- لقد كان بطلا حقا .. للمرة الألف أتعلم أن الرجال ليسوا بمظهرهم .. لقد كان - رحمه الله - أقرب إلى فتاة مترهلة ..

مسحت دمعة سالت على خدّي .. وهمست :

- كان بطلا إغريقيا .. سار في تصميم إلى مصيره المحتوم .. ولو كان لدينا (هوميروس) آخر لخلده في قصيدة أبدية .. إن (ستافروس) هو قاتل (المينوتور) الحقيقي وليس (ثيزيوس) ...

* * *

وحين خرجنا من فتحة التنين ..

كان الفجر يتمطى في كسل بعد ليلة طويلة .. طويلة ..

ولم يكن أحد هناك ..

بإخلاص / د . كوبر انوس

* * *

www.liilas.com

خاتمة

انتهى خطاب بروفسور (كوبرالومن) .. وانتهى (المينوتور) ..

للأسف لم يحفظ لنا الانتظار عظامه ، وأنا لا أنوم (ستافروس) كثيراً ، لكنني كنت أفضل لو اختار طريقة أقل جذرية للتخلص من هذا الكابوس الإغريقي ..

لكنها ملحمة حقيقية ..

وإنني لأجد الكثير من ملامح أبطال (الإلياذة) في هذين الشابين (باسيلوس) و (ستافروس) ..

واضح أن الأول كان يشعر بندم ، وأنه أراد الموت .. لكن كبرياءه السقيم منعه من الاعتراف بذلك ..

على كل حال .. مازال أنتيه هناك .. ينتظر .. ويمكنك أن تزوره لو خطفت رجلك لترى (كريت) ..

★ ★ ★

أشعر بمتعة حقيقية حين أقرأ هذه الخطابات آمناً في فراشي .. غير مضطر إلى مصارعة وحش إغريقي في قبو مظلم ..

وبالطبع لن أكون مضطراً إلى مواجهة رعب المستنقعات ..

إن الخطاب الثاني يتحدث عن مستنقعات تتصاعد منها غازات (الميثان) . وترفرف الوطاويط الرقيقة فوق مياهها ..

ومن يعبر مستنقعاً يكون عليه أن يدفع ضريبة المرور بالدم ..

ولكن .. لماذا أفسد قصتي ؟

إن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل
القاهرة

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

www.liilas/com/vb3
^RAYAHEEN^
مع تحيات منتدى ليلاس